

بيار روفايل
دموع الأرز
الجزء الثاني
دار الجيل
بيروت

دموع الأرز

إنها قصة الأرز الباكي، الأرز الخالد الصامد في وجه العواصف العاتية الهوجاء التي تهب عليه من كل حدب وصوب.
"دموع الأرز" قصة وطن مرّ بالمحن والنوائب والصعاب تخطاها ظافرًا صامدًا عالي الجبين.
إنها قصة العاطفة والشعور، قصة الروح الهائمة في فضاء الهوى والهيام، قصة القلوب المعذبة والوطن المناضل في دروب الحياة.
"دموع الأرز" ... إنها إحدى روائع القاص المعروف بيار روفايل يروي فيها مراحل الانتداب في لبنان بأسلوبه المشوّق الجذّاب.

ملخص الجزء الاول

من قصة

دموع الارز

علمنا ، في الجزء الاول من قصة دموع الارز الخالدة، ان الفرنسيين دخلوا الى لبنان عام ١٩١٨ ، واصبحوا المنتدبين . فلم يرق ذلك للبريطانيين وراحوا يحرضون اللبنانيين عليهم ... وكان الشاب اللبناني نهاد أنماطي ، سكرتير المستشار الفرنسي الفونس وردان ، وكان نهاد على علاقة بزوجة المستشار «كلوديت» . الا ان اللادي كوينز ، وهي حسناء بريطانية، وصلت فجأة إلى لبنان. واستطاعت ان تلفت نهادا اليها .. ووعدته بان توصله الى رئاسة الجمهورية . فبدأ يفكر بالابتعاد عن كلوديت ... وكاد المستشار يدهم سكرتيره نهاد وزوجته كلوديت بالجرم المشهود ، الا ان كلوديت استطاعت ان تنقذ عشيقها ، وتنقذ نفسها ، وان تلصق تهمة الخيانة بزوجها . وتظاهرت بالغضب ، واعتصمت في دارها في صوفر ... فراح نهاد يعمل على اقناعها بالعودة الى زوجها .. ورضيت اخيرا ان تعود الى بيروت ، شرط ان لا تعود الى زوجها ... وابيا ان يغادرا تلك الدار في صوفر قبل ان يتمما بلدة الهوى ، ونشوة الغرام ...

الفصل الأول

عاد نهاد العاطي وكلوديت رودان الى بيروت •

لقد وفق نهاد في اقناع زوجة المستشار بالعودة الى العاصمة اللبنانية •

الا انه عجز عن اقناعها بالعودة الى زوجها المستشار، الذي كان يقيم منها على انتظار ممض ، متعب ، بعيد •

وفي بيروت شخصت كلوديت رودان الى دار صديقتها الفرنسية لويز ، ارملة الكومندان شارمان في محلة الصنائع •

وودعت حبيب القلب والروح هامسة في اذنه : سأنتظرك هنا ، في دار الصديقة الحميمة لويز • ان لويز صديقة مخلصة يا نهاد ، وهي تعلم انني احبك ، وطالما فتحت لنا ابواب دارها واستقبلتنا بالترحيب والاكرام •

قال : سأجرب ان اعود في المساء يا كلوديت •

قالت : لا تقل «سأجرب» • قل «سأعود» ، انني

لمقيمة منك على انتظار بعيد المدى ، عميق القرار .

فهمس : سأعود ان شاء الله .

وسار الى عمله ، الى دار الحكم .

وكانت الساعة قد بدأت تشير الى الثامنة من الصباح .

ترى هل وصل المستشار الى مكتبه ؟

ان نهادا لمرتاح بعض الارتياح الى ما قام به .

صحيح انه لم يوفق في مهمته كل التوفيق ، ولم يستطع ان يقنع زوجة المستشار بالعودة الى دارها ، ولكنه وفق بعض التوفيق ، واستطاع ان ينتقل بها من صوفر الى بيروت .

سيكون المستشار راضيا عنه ان شاء الله .

ودخل الى مكتبه ليفاجأ بالمستشار جالسا يدخن ويفكر .

وقبل ان يلقي نهاد على المستشار التحية ، بادره المستشار بقوله : نهاد !.. اين كنت بعد ظهر امس ؟ لماذا لم تعد ؟ لقد انتظرتك حتى منتصف الليل .

قال نهاد : كانت المهمة التي ألقيتها على عاتقي صعبة شاقة يا سيدي . لقد بذلت جهودا كبيرة من اجل القيام بها على ما يريد سيدي المستشار .

قال الفونس روردان : ماذا فعلت ؟ هل وفقت ؟

قال نهاد : وفقت بعض التوفيق يا سيدي .

فتمتم المستشار : اخبرني . ماذا فعلت ؟ هل عدت بها ؟

قال : اجل يا سيدي . لقد عدت بها الى بيروت .

فلمعت ابتسامة واهية على شفتي المستشار ، وهمس: اين هي ؟ اتكون في الدار ؟

قال : لا . لم تعد الى الدار . لقد ابت ان تعود الى دار الزوجية . فهي ما تزال على غضب وحنق وجنون .

قال : اين هي الآن ؟

فتردد قبل ان يقول له : انها في دار صديقتها السيدة لويز شارمان . فهي معتصمة في دار تلك الصديقة ، تأبى ان تقابل احدا او ان تتصل بأحد ، او ان تفاوض احدا .

فعاد الوجوم ليحتل وجه الفونس روردان .

وصمت ...

وانصرف الى التفكير البعيد ، ينغمس فيه على شرود وذهول .

وساد الصمت برهة بينهما .

واستأنف المستشار الكلام بعد صمت قصير ليقول: اخبرني يا نهاد ماذا قلت لها؟ وماذا قالت لك؟ أخبرني كل شيء أيها السكرتير المخلص الوفي الأمين.

واخبره نهاد ...

الا انه لم يخبره كل شيء ...

لم يقل له انه قضى الليل مع زوجته في صوفر ...

لم يقل له ان كلوديت اتخذت قرارا بان تنفصل عنه، لتعيش معه هو ، وله وحده .

لم يقل له ان هناك اكثر من علاقة صداقة بينه وبين زوجته .

بل اكتفى بان يروي للمستشار بعض ما دار بينه وبين كلوديت من حديث .

قال : لقد حاولت اقناعها بنصاعة جبينك ، الا انها ابت ان تستمع الي .

وعندما قلت لها : يجب ان تعودي الى زوجك يا سيدتي .

اجابت : ان زوجي مشغول عني بصديقته الراقصة الحسناء . ما لي وله . فليبارك الله له بالراقصة الخليع . انه لجدير بها ، وهي جديرة به . اما انا فلا اصلح له . ولا هو يصلح لي . انا امرأة شريفة فاضلة ، لا استطيع ان اعيش مع زوج خائن متهتك .

قال المستشار ، وقد بدأ القلق يستبد به : وماذا كان جوابك ؟ ألم تدافع عن المستشار يا نهاد ؟

قال نهاد : يشهد الله يا سيدي انني دافعت دفاعا عظيما ، الا انها ازدادت غضبا ، وأخذت تشتمني ،

وتشتمك ، وتشتم تلك الراقصة التي تتهمك بحبها .

حاولت جاهدا ان اعيدها الى بيروت ، الا انها كانت تصر على البقاء في صوفر ، وقد دامت محاولة الاقناع حتى ساعة متأخرة من الليل .

وأخيرا اقتنعت بالعودة الى بيروت ، ولكنها رفضت ان تعود الى الدار ، فهي لا تريد ان تراك يا سيدي ، ولا ان تسمع باسمك . وقد وصلنا الى بيروت عند منتصف الليل ، فشخصت الى دار صديقتها لويز ، وعدت انا الى داري .

لم احاول الاتصال بك ليلا ، ورأيت ان ادع ذلك الى صباح اليوم ، لئلا ازعجك . والليل قد اشرف على الانتصاف .

فوقف المستشار متمتما : سأشخص بنفسي الى دار السيدة شارمان ، وسأحاول اقناع كلوديت بالصفح والغفران .

فندم نهاد على ما بدر منه .

لم يكن له ان يرشد المستشار الى مقر زوجته .

لقد اتخذت كلوديت من دار صديقتها لويز مقرا لها كي تخلو به هو ، لا لتقابل زوجها .

هي ستغضب وستثور عندما تعلم انه ارشد زوجها الى مقرها .

ماذا عليه ان يفعل الان ؟

لقد ارتكب هفوة ، وعليه ان يصلح تلك الهفوة ..

والتفت الى المستشار ، بعد تفكير قصير ليقول : نصيحتي اليك الا تحاول مقابلتها الان يا سيدي ، لئلا تسمعك ما لا يرضيك ، وتنال من كرامتك .

فهي لا تزال على ثورة غضب جامحة ، عاتية هوجاء..

فاصر المستشار على مقابلتها .

هو سيعرف كيف يهدىء ثورة غضبها ويخمدها .

سيقدم لها مبلغا كبيرا من المال ، ويعدها بهدايا ثمينة .

انه ليعرف زوجته حق المعرفة . فهي تتخذ من الحوادث البسيطة وسائل للحصول على الجواهر والحلي، والثياب.

تتظاهر بالغضب لتنال سوارا ثمينا .

وتدعي الغيرة عليه ، لتحصل على معطف فرو ، او على حلية غالية الثمن .

ولكن المستشار جهل ان ما تطلبه كلوديت الان هو اغلى من الذهب والفرو والحلي والجواهر .

انها لتطلب الاحتفاظ بحبيبها نهاد .

وقد خشيت ان يعمد نهاد الى الابتعاد عنها اخلاصا منه لزوجها .

وهذا ما كان نهاد يفكر به : لذلك فهي قد اتخذت قرارها بالانفصال عن زوجها كي لا يظل هناك ، عند نهاد، أي عذر للابتعاد عنها.

كان عليها ان تختار : اما زوجها او نهاد .

ولقد اختارت ، وانتهى الامر .

وخرج المستشار من ديوانه ، تاركا نهاد في قلق وحيرة ووجوم .

واسرع الى دار لويز شارمان .

ووقف امام الباب يقرعه .

فاقبلت السيدة شارمان تفتح الباب .

ووجمت ، وهي تشاهد المستشار امامها .

وهمست في سرها : الحمد لله ، لقد نجت كلوديت من فضيحة كبرى ، فهي الان وحدها في الغرفة ، وماذا كان مصيرها ، لو ان حبيبها نهاد العاطي معها الان ؟

ورحبت الارملة الفرنسية بالمستشار ، ودعته الى الدخول .

فدخل ليقول : اين هي كلوديت ؟

وايقنت لويز ان المستشار متاكد من ان زوجته هناك .

ليس لها اذن ان تقول له : لست ادري .

قالت : انها هنا يا سيدي . هي في غرفتي . سأطلعها

على قدومك .

قال : اريد ان أراها .

قالت : سأنقل اليها رغبتك السامية .

وجلس ألفونس روداان في قاعة الاستقبال .

واسرعت لويز الى كلوديت هامسة : زوجك هنا يا كلوديت . هو يريد ان يتحدث اليك . تعالي معي .

وزعقت كلوديت : ماذا جاء يفعل هنا ؟. اطرديه . لن اقابله . لن اتحدث اليه . لن ادعه يرى وجهي بعد الان .

فحاولت لويز تهدئة خاطرها .

حاولت اقناعها بمقابلة زوجها .

الا ان كلوديت ازدادت غضبا . وراحت تشتم وتلعن وتسب .

وسمع المستشار صوت زوجته يعربد ويشتم ..

سمعها تولول : ماذا جاء يفعل هنا هذا الكلب الحقير ؟ لن ادعه يراني . لن يسمع صوتي . ولن يرى وجهي بعد اليوم . انه خائن ، مجرم ، شرير . وأنا امرأة فاضلة شريفة طاهرة . ليس له ان يدنس شرفي ، وطهارتي، ونبلي . فليدعني وشأني . مجرم سافل لئيم ذميم ...

وايقن المستشار ان نهاداً كان على حق عندما نصحه بعدم الذهاب الى دار ارملة الكومندان شارمان .

ليته لم يتنازل عن كرامته .

ليته استمع الى نصيحة سكرتيره «الوفي» .

اذن لكان قد وفر على نفسه الاستماع الى شتائم كلوديت ، ومسباتها ، وكلماتها القارسة الجارحة ، الملتهبة الحمراء .

ورأى المستشار ان ينسحب من تلك الدار ، قبل ان تخرج زوجته من الغرفة وتصب عليه جام غضبها .

ومن يدري بماذا تنتهي ثورتها ؟

قد تنهال عليه بالصفع وبالرفس .

فهي تتحول الى ذئبة مفترسة عندما تغضب وتثور .

خير له اذن ان ينهزم، وان يبتعد عنها الان ، ريثما تهدأ ثورة غضبها .

وانسل المستشار روداان من دار ارملة الكومندان .

وخرج من تلك الدار على ألم وحزن وغضب .

زوجته سبب علته .

لقد بات يخشاها ...

من يدري ماذا ستفعل كلوديت، وهي تتربع على قمة الغضب والجنون ؟

وعاد المستشار روداان الى مكتبه في دار الحكم ، يجر ذيول الخيبة واليأس .

ومر بمكتب سكرتيره الامين قبل ان يدخل الى

ديوانه .

فوثب «السكرتير» اليه ليقول : عساكم وفقتم ، يا سيدي ، في تهدئة خاطرها ؟

وهز المستشار رأسه بأسف وألم .

وهمس : ليتني استمعت الى نصيحتك يا نهاد.. لقد كنت على حق عندما نصحتني بعدم الذهاب اليها .

قال نهاد : ارى ان تدعها الان . ستهدأ ثورة غضبها غدا ، او بعد غد ، وتعود الى رشدها .

قال المستشار : انني لأخشى ان تسبب لـي متاعب ومشاكل ، فهي مجنونة ، لا تفكر بما تقدم عليه .

قال نهاد : سأعود اليها يا سيدي ، اذا شئتم ، وأعمل على استرضائها .

قال المستشار روداني : لا اخالك محققا الأمل . فهي كما لاح لي ، عازمة على المضي في ثورتها وجنونها .

ودخل المستشار الى ديوانه وجلس ليفكر بطريقـــة تنقذه من هذه الورطة المعقدة ، وتعيد زوجته اليه .

وفي حين كان المستشار يفكر في مكتبه ، كـــان سكرتيره نهاد العاطي يفكر ايضا ، وهـــو جالس وراء مكتبه .

كان نهاد يفكر باللادي ايفا كوينز .

فهو مدعو الى تناول طعام الغداء على مائدتها اليوم ،

ايضـــا .

منذ ثلاثة ايام وهو ضيفها على الغداء ..

ماذا سيفعل ؟

هل يشخص اليها ام يتخلف اليوم عن تلبية الدعـــوة السخاء ؟

سيلبي الدعوة .

ليس له ان يرفض دعوة اللادي الحسناء ، وقـــد اصبحت حبيبة القلب .

اجل هو سيشخص الى قصرها ، وسيتناول طعـــام الغداء على مائدتها .

وبعد الغداء سيخلو بها ..

وسيبحثان معا امر وصوله الى رئاسة الجمهورية .

ومضت الساعات على سرعة واندفاع ، ونهاد العاطي جالس في مكتبه يفكر ويرسم الطريق الذي سيوصله الى سدة الرئاسة الاولى في لبنان ..

وما ان اشرفت الساعة على الواحدة بعد الظهر ، حتى غادر نهاد مكتبه ، وشخص توا الى قصر البريطانية الفاتنة الحسناء .

وكالعادة كانت اللادي كوينز بانتظاره ..

وشعت ابتسامة زاهية لامعة بيضاء على شفتيهـــا النديتين وهي تصافحه .

وشدت يدها يده .

فشعر بقشعريرة تسري في عروقه .

وتأبطت ذراعه هامسة : تعال الى قاعة الطعام . انني جائعة . سنتناول الطعام اولا ، ثم ننتقل الى حيث تريد .

وقادته الى قاعة الطعام .

وجلسا يتناولان الطعام الشهي، ويتبادلان بعض الأحاديث . .

وانتقلا بعد تناول طعامهما الى الصالون ، الى قاعة الاستقبال .

وجاءها الخادم بالقهوة .

فجلسا يرشفانها ويتحدثان .

وغرزت اللادي كوينز عينيها في عينيه .

فشعر بالدم المحموم يسري في عروقه .

وتجرأ فامسك يدها يرفعها الى شفتيه ويقبلها بشوق وحنان .

وتركت اللادي الحسناء يدها البضة البيضاء في يده.

وهمست بحنين وارتياح : اتحبني يا نهاد ؟

قال : سلي قلبك ؟ لماذا تسالينني انا ؟

قالت : اخشى ان يكون قلبي مخطئا في ما يجيب .

قال : القلب لا يخطىء يا فاتنتي . القلب وحده يصدق في كل ما ينقل من شعور وعاطفة وشوق .

فشبكت اصابعها بأصابعه وهمست : وددت ان تحبني على قدر ما احمل لك في قلبي من الحب والجوى والشوق والحنين يا حبيبي .

قال : ثقي ان حبي اقوى وأمتن وأعمق وأرحب من حبك . احبك بكل ما يستطيع قلب ان يحب ويهوى . احبك حب الزهور للندى ، حب الطير للشدو والغناء ، حب الليل للفجر ، حب الاغصان للنسائم المعطرة المعطاء . اجل. احبك ايتها اللادي ، واتمنى ان احيا وأموت في حبك العاصف بفؤادي ، المالك كياني ، المرتفع بي الى أجواء السعادة والبهجة والهناء .

فالقت برأسها الجميل على صدره وهمست : يا حبيبي !

فالتصق بها وضمها الى صدره برفق وحنان .

وهمس : يا حبيبتي !..

وتعانقا على جوى ونار .

وغابا في واد سحيق من اللذة والنشوة والغرام .

وكانت لهما جلسة هوى وهيام، بعيدة المدى، عميقة القرار .

ولم يستفيقا من غفوتهما الهانئة الا والساعة تدق الرابعة بعد الظهر .

وعاد نهاد العاطي الى رشده ..

وتذكر عمله .

وكان عليه ان يكون في مكتبه في دار الحاكم .

(والدوام الرسمي يومذاك من الثامنة حتى الثانية عشرة ظهراً، ومن الثالثة حتى السادسة مساءً).

ونهض ليقول : يجب ان انصرف الان يا حبيبتي .

فأمسكت بيده لتقول : اجلس .

قال : ان عملي يجب بي الى الابتعاد عنك الان .

فقهقهت ...

وتمتمت : اي عمل هو هذا العمل الذي تتحدث عنه؟ عملك هنا ، لدينا الان اعمال أهم بكثير من عملك . ان مستقبلك وحياتك كلها في اعمالنا هنا يا نهاد . سيطل يوم ، وهو قريب جداً ، تكون فيه السيد المطلق الحاكم في هذه البلاد .

وأرغمته على الجلوس .

فجلس ..

قالت : ماذا فعلت في امر "تأليف" الحزب الجديد ؟ هل بدأت العمل ؟

قال: الحقيقة هي انني ما زلت افكر بالامر . انا لا اعلم كيف ابدأ ، ولا ماذا افعل . ان امر "تأليف" حزب ليس بالامر السهل ايتها اللادي .

فنفثت دخان اللفافة الفاخرة في الفضاء .

وهمست : ان ما يلوح لك صعبا عسيرا ، يلوح لي سهلا ميسورا . قلت لك : «ما عليك الا ان تجمع حولك بعض الاهل والاقارب والاصدقاء ، وتطلق على هذه المجموعة اسما ، فيكون لك حزب يهز البلاد » .

فليكن اسم حزبك مثلا «حزب الوحدة» ، او «حزب الاتحاد» ، او «حزب الانطلاق» . اختر اسما يروق لك.

فصمت نهاد العاطي .

وراح يفكر .

قضية اختيار الاسم ليست بالقضية المعقدة الصعبة. ان تأليف الحزب يحتاج الى مال ، وهو لا يملك المال ..

فكيف يقدم على هذه الخطوة الخطرة دون ان يكون ما يحتاج اليه من المال موفورا لديه ؟..

عليه ان يكون زعيما . والزعامة ابدا بحاجة الى ثمن. فكيف يستطيع الوصول الى المال ، ليصل الى الزعامة ؟

وكأن البريطانية الحسناء ادركت ما يجول في خاطره .

فهمست : لا تفكر بالمال . قلت لك ، وأعيد القول : «المال لدينا كثير وفير» . سأمدك بالذهب لتنفق على هذا الحزب .

فانتفض قائلا : لا •• نهاد العاطي لن يكون متسولا يا سيدتي •

فلفت ذراعيها حول عنقه •

وهمست : انت حبيبي • وكل ما املك هو ملك لك يا حبيبي • ليس هناك اي فرق بين مالي ومالك يا نهاد • المهم الآن هو ان تصل الى ما تصبو اليه ، وأن تحقـــق آمالك العذبة واحلامك المخضلة الجناح •

قال : لا •• لن امد يدي الى مالك يا حبيبتي •

فابتسمت وهمست : سترد لي ما تأخذه مني الآن . بعد ان تصل الى رئاسة الجمهورية • سيكون هذا المـال — اذا شئت — دينا تعيـــده الي بعد ان تتسلم ســدة الرئاسة •

فصمت •••

وعاد الى التفكير •••

هل يرضى بالاستدانة من اللادي كوينز ؟

هل يوافق على اقتراحها ، ام يرفض ؟

وقبل ان يستطيع الاجابة على هـــذا السؤال ، عادت اللادي كوينز الى الكلام لتقول : اسمـــع يا نهاد ، الا تستطيع ان تجمع حولك الآن زهاء عشرين شابا ؟

قال : استطيع ان اجمع خمسين شابا • هناك اقاربي وأصدقائي ، وهناك ايضا اولئـــك الذين اديت لهـــم

الخدمات العديدة ، بحكم منصبي في دار الحكم• ان جمع الشبان الخمسين امر سهل ميسور •

قالت : ثق اذن بأنه سيكون لك حزب قوي عظيم •

وعاد نهاد العاطي الى الصمت والتفكير ••

انه ليفكر بالمال ••

عليه ان ينثر المال دون حساب •

عليه ان يشتري الزعامة •

عليه ان يظهر امام مؤيديه بمظهر السخـــي الكريم ، الطويل الباع •

الامر ليس بالسهولة التي تراها اللادي كوينز •

وقرأت اللادي كوينز بثاقب بصيرتها ما يجـــول بخاطره •

فأمسكت بيده قائلة : تعال معي •

قال : الى اين ؟

قالت : تعال •• تعال

ووقف •••

وسارت به الى غرفة النوم •

وفتحت خزانتها ، فاذا بالذهب يبهر عينيه ••

وهمست اللادي كوينز : خذ ما تشاء من الذهب يا نهاد • كل ما املك هو ملكك يا حبيبي •

فدهش نهاد العاطي حيال ما يلوح لعينيه •

وصمت ...

الدهشة عقدت لسانه ومنعته من النطق بحرف .

وأدركت اللادي ان الذهب عقد لسانه .

فمدت يدها الى الذهب المنثور في تلك الخزانة لتطبقها على حفنة من الدنانير الذهبية ، وتدفع بها الى نهاد قائلة : اليك بهذه الحفنة الان . تستطيع بهذا المبلغ ان تستأجر دارا لتكون مقر الحزب ، وان تؤثث تلك الدار . أنفق ما تريد ، وكما يحلو لك . انثر المال على انصارك ومؤيديك . الوصول الى سدة الرئاسة يحتاج الى ذهب. والذهب لدينا كثير ، والحمد لله .

وحاول نهاد العاطي الرفض .

حاول الا يمد يده الى تلك الحفنة من الذهب اللامع الوهاج .

الا ان اللادي نثرت تلك الحفنة في جيبه هامسة: كل ما تملك اللادي كويتز ، من حب ومال ، هو لك يا حبيبي .

وهمس نهاد : ولكن كيف استطيع ان ارد مالك ايتها اللادي ؟

قالت : عندما تصبح رئيسا للجمهورية ، تعيد لي المال .

قال : واذا لم يقدر لي ان اصل للرئاسة ؟

فضحكت ...

وقالت : حبك عندي يساوي ذهب العالم ، ومال الارض يا نهاد . اي قيمة للمال والذهب حيال الحب والعاطفة والشعور ؟ اذهب الان ، واتكل على الله .

قال : سأبدأ العمل . غدا سأستأجر دارا رحبة ، وأجمع حولي الاصدقاء والاقارب . والله ولي التوفيق .

قالت : اوصيك بالكتمان الان . اعمل بصمت ، ولا تدع رجال الانتداب يعلمون شيئا الان عن حزبك . لن يعرف الفرنسيون انك تنوي تأليف حزب سياسي ، ولن يصل الخبر اليهم الا بعد ان تكون قد وطدت دعائم حزبك ، وشيدت على اركانه زعامتك وشهرتك ومجدك .

قال : هل اظل الان في منصبي ؟ بماذا تشيرين علي؟

قالت : ابق حيث انت . ستظل «سكرتير» المستشار رودان ، حتى يحين الموعد المضروب ، موعد الاعلان عن حزبك الكبير .

وقبل ان يودعها ، همست في اذنه : سأنتظرك غدا لتناول طعام الغداء معا ، وتطلعني على ما قمت به .

قال : ليكن ما تريدين يا حبيبتي .

وودعها ، تاركا قلبه الهائم الولوع بين يديها ..

وسار ، وهو يتحسس الدنانير الذهبية في جيبه ، وألف فكر وفكر يدور في رأسه ..

وأحس بقوة هائلة تدفعه الى العمل ، وتبعث في نفسه الهمة والنشاط ..

يا لقوة هذا الاصفر الرنان ، الذي يستطيع ان يحول الانسان الخامل الى انسان نشيط ، والحقير الوضيع الى صاحب مجد وعظمة وسلطان ..

لم يكن نهاد العاطي ليشعر بمثل هذه القوة والاندفاع، وهو قادم الى قصر اللادي كوينز خالي الجيب .

اما الآن ، وقد امتلأت جيبه ، وقبضت يده على الذهب ، فقد بات قوي الشكيمة ، ذا قوة وهمة واعتداد.

الفصل الثاني

لم يشخص نهاد العاطي الى مكتبه في دار الحكم بعد ان خرج من قصر اللادي كوينز .

لا... لن يعمل اليوم .

سيبدأ منذ الآن .

منذ هذه الساعة بالعمل .

ليس له ان يضيع الوقت ، والوقت ثمين لا يجوز اضاعته ..

وشخص الى دار ابن عمه وفيق العاطي ، وهو محام ناشىء .

سيعتمد على وفيق في وضع اسس الحزب، وبرنامجه، وقانونه ..

ودهش وفيق ، وهو يشاهد ابن عمه السكرتير يدخل عليه في مثل تلك الساعة .

المفروض ان يكون نهاد في عمله الآن . فما باله

يزوره على غير موعد ؟

وصافح نهاد ابن عمه وتمتم : جئتك في امر خطير يا وفيق •

فازداد وفيق دهشةوهمس: ما هو هذا الامر الخطير، الذي يدعوك الى الانقطاع عن عملك ، والحضور الي ؟

قال : اريد ان اؤلف حزبا •

وقهقه وفيق العاطي هازئا وتمتم : انت ؟

قال : لا تضحك • اجل انا • سأعمل على تأليف حزب ، وسيكون حزبي اول حزب لبناني يهز البلاد هزا •

قال وفيق : وكيف ستؤلف هذا الحزب ؟ وهل تعلم اي مسؤولية مادية ، ومعنوية ، ووطنية ، تترتب على رئيس الحزب ؟

قال : اعلم كل شيء • ومن اجل ذلك جئت استعين بك على وضع اسس هذا الحزب يا ابن عمي •

فلم يخرج وفيق العاطي عن هزئه •

قال : على من يرغب في تأليف حزب، ان يكون ثريا• فهل تملك حضرتك من المال ما يكفي لاستئجار غرفة صغيرة يجتمع فيها اعضاء حزبك الكريم ؟

فمد نهاد يده الى جيبه ليخرجها قابضة على الذهب، ويدفع به الى ابن عمه قائلا : هذا هو المال •

وارتسمت الدهشة في عيني المحامي الشاب ، وهو

يرى الدنانير الذهبية في يد ابن عمه السكرتير •

وتلاشت البسمة الهازئة عن شفتيه •

يبدو ان الامر جدي ، وان نهاد يدرك قيمة ما يقول

وهمس المحامي بدهشة واستغراب : نهاد ! من اين لك هذا ؟

قال نهاد : لا تسلني شيئا • قل لي ، هل انت مستعد لمد يد المساعدة الي ؟

قال المحامي : اجلس •• اجلس لنتحدث في الامر•

وجلس نهاد •

وقدم له وفيق لفافة وأشعل هو لفافة ، راح ينفث دخانها في الهواء •

وعاد نهاد الى الكلام ليقول : اريد منك ان تضع لي قانون الحزب ، وترسم خطوطه، وتحدد اهدافه، وبرامجه• اريد كل ذلك بسرعة يا وفيق •

وهمس وفيق : قبل كل شيء ، اريد ان اعلم كيف وصلت هذه الدنانير الذهبية الى يدك • ومن تراه يكون وراء فكرة الحزب هذه ؟

وتمتم نهاد : قلت لك لا تسلني شيئا ، يكفي ان تعلم يا وفيق ان ابن عمك اصبح غنيا ، وانه سيصبح عما قريب شخصية سياسية كبيرة في لبنان •

قال المحامي : كيف تريدني على التعاون معك ، دون

ان تطلعني على اسرارك . قل لي هل هذا المال الذي تملكه فرنسي ؟

قال نهاد : ماذا تعني ؟

قال وفيق : اعني هل دفعك الفرنسيون لتأليف هذا الحزب ؟

اجاب نهاد : لا . وقد نسيت ان اقول لك ان تأليف هذا الحزب يجب ان يتم بصورة سرية . لا اريد ان يعلم احد ، انني ساع الى تأليف حزب سياسي . الفرنسيون لن يعلموا بأمر هذا الحزب الا وقد انتهى كل شيء ، واصبح الحزب حقيقة صامدة راهنة .

وتمتم وفيق : أيكون مالك هذا مالا عربيا ؟ هل هناك ملك ، او امير ، او رئيس عربي وراء حزبك هذا ؟

ونفث نهاد دخان اللفافة في الفضاء وتمتم : لا .

قال وفيق : اذن هو مال بريطاني .

وهدر نهاد : لا ، لا ، لا . قلت لك لا تسلني شيئا . هل تريد ان تأكل العنب ، ام تراك تريد قتل الناطور ؟

فأدرك المحامي الشاب انه عاجز عن انتزاع السر من صدر ابن عمه .

وهمس في سره : لا بأس .. ان لم استطع الوقوف على هذا السر الآن ، فسأستطيع ذلك غدا .

والتفت وفيق الى ابن عمه وقال : كرمت عيناك يا نهاد . انا معك . ستؤلف الحزب الذي تريد . ما دام المال موفورا ، فكل الصعاب تهون . انا سأبدأ الليلة بوضع التصميم الكامل للحزب ، وسأسن قانونه ، وأرسم خططه، ويكون حزبا قويا صامدا متينا .

قال نهاد : وأنا سأتولى غدا اعداد دار فخمة لحزبنا السعيد .

***

وكان لنهاد العاطي ما اراد ..

او بالاحرى كان للادي كوينز ما ارادت .

فتم تأليف الحزب بسرعة ، لم تكن اللادي كوينز تنتظرها .

فقد وضع المحامي وفيق العاطي قانون الحزب ، وبرامجه ، وخطوطه ، وأهدافه .

وأعد نهاد دارا لحزبه في ساحة الشهداء ، في بناية فخمة شاهقة .

وأطلق على حزبه اسم «حزب الانطلاق اللبناني» .

جرى كل ذلك بصورة سرية .

وبمدة لم تتجاوز الاسبوع .

وانضوى تحت لواء حزب الانطلاق زهاء ثلاثين شابا،

هم ابناء عم نهاد العاطي ، وابناء خالته ، وبعض اقاربه ، وبعض اصدقائه .

وعقد الحزب اول اجتماع له بصورة سرية .

فكأنه منظمة ارهابية تخشى افتضاح امرها ، ووصول اعضائها الى اعماق السجون .

ولم ينقطع نهاد العاطي عن عمله .

الا انه انقطع عن حبيبته كلوديت رودان .

لقد انقطع عن كلوديت، لينصرف الى حبيبته الجديدة اللادي ايفا كوينز ..

انتقل من «الجبهة» الفرنسية ، الى «الجبهة» البريطانية .

وعزم نهاد على قطع كل صلة له بزوجة المستشار .

لقد اراد ان يخلص في حبه للغادة البريطانية التي تغدق عليه حبها ومالها ، والتي تقوده في طريق رئاسة الجمهورية على سرعة واندفاع .

سيكون رئيس حزب الانطلاق بقلبه ، وبروحه ، وبجسده للبريطانية الحسناء .

وسيحاول ان ينسى الفرنسية الفاتنة التي احبته بكل ما تستطيع امرأة ان تحب ، وان تهوى في هذه الحياة .

وفي حين كان نهاد العاطي منصرفا الىالاهتمام بتنظيم حزبه الجديد ، وبارتشاف كؤوس الهوى والغرام بين

ذراعي اللادي كوينز ، كانت كلوديت رودان تعتصم في دار صديقتها لويز شارمان .

وكان زوجها المستشار رودان يحاول استرضاءها ، والعودة بها الى دارها .

ولكن دون جدوى .

وحاولت كلوديت استعادة حبيبها نهاد العاطي .

حاولت اعادته الى حظيرة حبها ، الا ان محاولتها باءت بالفشل .

وكانت تتصل به هاتفيا كل يوم ، طالبة اليه ان يوافيها الى دار صديقتها لويز .

الا ان نهادا كان يعتذر عن تلبية طلبها ، مدعيا انه يخشى اكتشاف سر حبهما ، والويل كل الويل له اذا وقف المستشار على سر غرامهما العميق القرار .

وغضبت كلوديت شديد الغضب وهي تلمس في حبيب القلب والروح الصد والنفور .

وآمنت في بادىء الامر بما يقول . قد يكون الخوف من رئيسه ، زوجها ، أهاب به الى الابتعاد عنها ...

وخيل اليها ان غيمة الخوف ستنقشع في نفس نهاد، وانه سيعود اليها طائعا صاغرا مختارا .

فرأت ان تنتظر انقشاع تلك الغيمة .

الا ان انتظارها طال ، دون ان تلمس في نهاد الرغبة

في العودة الى الحظيرة .

فبدأت الشكوك تساورها ، والظنون الهوجاء تقلق خاطرها ، وتقض مضجعها الوثير .

ورأت ان تضع حدا لتلك الهواجس والظنون .

فاتصلت به هاتفيا ذات صباح لتقول : نهاد .. اريد ان اراك اليوم . سأكون في انتظارك حيث تشاء يا حبيبي .

وتمتم نهاد عبر اسلاك الهاتف : اليوم ، لا استطيع موافاتك الى الموعد يا كلوديت . ارجو ان تؤجلي اللقاء الى موعد اخر .

قالت بحزم وعزم وغضب : بل اريد ان اراك اليوم . اليوم وليس غدا . هل تفهم ما اقول ؟

قال : ولكنني اخشى ان يعلم زوجك بامرنا . اخشى الفضيحة ، اخشى ان افقد منصبي يا كلوديت . دعينا الآن من اللقاء . فلنصبر على البعاد يا حبيبتي ، ريثما تمر العاصفة بسلام .

فهدرت على غضب وثورة وجنون : اسمع يا نهاد . انا الآن بانتظارك في دار صديقتي لويز شارمان . سأنتظر ساعة ، ساعة واحدة فقط ، اذا لم تحضر الي ، فسأحضر انا اليك .

فذعر نهاد العاطي .

وتساءل : اتحضرين الى دار الحكم ؟ الى مكتبي ؟ الا تعلمين ان ديوان زوجك المستشار على مقربة من مكتبي؟ ليس ثمة ما يفصل بين مكتبي وديوانه سوى باب من خشب ؟ هل جننت يا كلوديت ؟

قالت ، والثورة الحمراء تنبعث من كلماتها : أجل . لقد جننت . لم يعد يهمني احد ، وما عدت اعبأ بشيء . سأحضر بعد ساعة واحدة الى دار الحكم ، وأحطم ما يقع في طريقي على رأسك ورأس زوجي . عليك اذن ان تختار . اما ان تحضر اليّ او احضر انا اليك .

فوجم نهاد ...

لقد اوقعته كلوديت في مأزق حرج .

ويله اذا ذهب اليها ...

والف ويل له اذا حضرت اليه ..

ماذا عليه ان يفعل ؟

ليس يدري .. ليس يدري .

ورأى ، اخيرا ، ان يتقي الشر ، ويشخص اليها .

قال : سأكون عندك قبل انصرام الساعة . بعد ساعة واحدة اكون عندك يا كلوديت .

قالت : انني منك على انتظار .

وبرّ بوعده .

قبل انقضاء ساعة ، كان نهاد العاطي في دار السيدة

لويز شارمان ، يجلس قرب زوجة المستشار رودان الثائرة الغضبى ..

وتمتمت كلوديت : لماذا انقطعت عني طيلة هذه المدة؟ هل لي ان اعلم لماذا ؟

قال : ارجو ان تفهميني جيـــدا يا كلوديت ، وان تحكمي العقل ، وتدعي العاطفة جانبا الان . ان الامـــر خطير كما يبدو . وزوجك يبث حولك العيون . هو يريد ان يحاربك بسلاحك . لقد اكتشفت علاقته بالراقصـــة الحسناء ، وهو يريد ان يكتشف علاقتك بعشاقك . يريد ان يثبت انك خائنة ، وان هناك ما يبرر علاقته بتلـــك الراقصة الحسناء .

فنفثت كلوديت دخان اللفافة في الفضاء لتقول : انا لا يهمني احد ، لا زوجي ، ولا غير زوجي . فليفعل مـــا يطيب له . لقد اتخذت قراري ولن احيد عنه . قـــررت الانفصال عن الفونس رودان . لن اعود الى داره ، ولـــن تقع منه علي عين بعد اليوم .

قال : كوني عاقلة يا حبيبتي . ليس لك ان تتصرفي تصرف النساء الجانحات ، وانت سيـــدة محترمة ، لهـــا مقامها الرفيع في المجتمع .

فزعقت : اريد ان احيا ، اريد ان اعيش كما تعيش جميع الزوجات ، اريد ان اكون زوجة تنال جميع حقوقها

الزوجية ، اريد ان اتأبط ذراع زوجي ، وأسير واياه الـــى حيث اشاء ويشاء . اريد ان اكون زوجة بكل ما في كلمة الزوجة من معنى . لا اريد ان اخون زوجي ، ولا اريد ان يخونني . لقد قررت ان انفصل عن الفونس لأعيش معـــك يا نهاد .

وذعر نهاد العاطي .

ماذا تقول هذه الفرنسية المجنونة ؟

كيف تنفصل عن زوجها ؟

وكيف تريد ان تعيش واياه ؟

هل تريد ان تخرب بيته ، وتقضي على مستقبله الذي بات يلوح له زاهرا زاهيا وضاح الجبين ؟

والتفت الى كلوديت ليقول : لا ، يا كلوديت ، لا ، هذا ما لست ارضاه . لن اكون سببا في خراب بيت رئيسي المستشار . ارجوك ان تدركي حقيقة موقفي . لا تحرجيني يا كلوديت .

فقهقهت كلوديت رودان .

وقالت : اي بيت هو هذا الذي لا تريد خرابه ؟ وهل ابقى صديقك الفونس رودان حالا لهذا البيت الذي هدمه منذ امد بعيد ؟ لقد اتخذت قراري يا نهاد ولن اتزحـــزح عنه . انا لن ابتعد عنك بعد اليـــوم ، سأكون قريبـــك وستكون قربي . سأعيش معك حيث تريد . اذا شئت ان

نسافر، سافرنا • انا على استعداد للذهاب معك الى أقاصي الارض •

وعاد نهاد الى المحاولة ، محاولة اقناع كلوديت بالعودة الى زوجها •

الا ان محاولته باءت بالفشل •

كان يريد ان يعيدها الى زوجها ليتخلص منها •

الا ان كلوديت ابت النزول عند ارادته •

لقد اتخذت قرارها ولن تعود عنه •

وأخيرا ، وبعد مناقشة طويلة هتفت كلوديت بغضب:

لا تحاول المستحيل يا نهاد • انا لن اعود الى الفونس • هذه فرصة لن تسنح لي كل حين ، لقد طلبتها من السماء فوجدتها على الارض • لن اعود الى دار الزوجية • لن اعود • اذا شئت ان تبتعد عني فلك الخيار ، لن ارغمك على مبادلتي الهوى والحب والحنين ، وقد قيل الحب لا يكون ارغاما • انت حر في ان تفعل ما يطيب لك •

وخيل اليها ان نهاداً سيطوقها بذراعيه ويهمس في اذنها : انا احبك يا كلوديت ، ولن ابتعد عنك • سأظل قربك فنعيش معا ونموت معا •

الا ان املها خاب ، وهي تسمع نهاد يتمتم : كم كنت اود ان اجيبك الى طلبك يا كلوديت، الا ان الامر يفوق طاقتي • انا لا استطيع ان اغامر بمنصبي في دار الحكم ،

ولا ان اغضب زوجك رئيسي ، ولا ان اقضي على مستقبلي من اجل قلبي • سأحطم قلبي لأصون سمعتي ومستقبلي •

واشتد الغضب بالغادة الفرنسية وهي تسمع كلام حبيبها •

كانت تلك الكلمات القاسية تلسع قلبها •

كانت كالسعير تحرق فؤادها وتذيب حناياها •

لقد طعنها نهاد العاطي في الصميم •

انها تضحي بكل شيء من اجله ، بزوجها ، بدارها الزوجية ، بسمعتها ، بكرامتها ، بشرفها ، في حين يعلن انه ليس مستعداً لأن يضحي بمستقبله من أجلها.

يا له من مجرم خائن شرير •

ووقفت كلوديت على ثورة عاطفة لاهبة حمراء •

وهدرت : جبان •• اليك عني •• اخرج من هنا ، فلست اطيق مرآك بعد الآن •

ووقف نهاد العاطي متظاهرا بانه غضب للاهانة •

وتمتم : شكرا لك يا سيدتي على ما تبدين نحوي من اهانة • ما كنت احسب انني سأسمع منك يوما ما سمعت•

وسار دون ان يلتفت اليها ، وقد اطمأن بعض الاطمئنان •

الحمد لله ، ثم الحمد لله ، لقد تخلص من كلوديت • وسينصرف الى ارتشاف الهوى والهيام في قصر

اللادي كوينز ، حبيبته الجديدة ، التي فرشت دربه بالورد والزهر والرياحين .

وأسرعت كلوديت روادن بالدخول الى غرفة النوم .

وقد توارى عنها نهاد .

وارتمت على السرير لتجهش بالبكاء ...

وأقبلت صديقتها لويز قائلة : كلوديت ! ما بك ؟ لماذا تذرفين الدموع ؟ ماذا دهاك يا صديقتي ؟

فتمتمت كلوديت : مجرم شرير . لقد انصرف عني كأنني لم اكن حبيبته ، وكأنني لم اجد عليه بكل ما نستطيع ان تجود امرأة على رجل .

فكفكفت لويز دموعها هامسة : ما انت الاولى ، ولن تكوني الاخيرة يا كلوديت ، اللواتي هجرهن احبابهن كثيرات . كل الرجال من طينة واحدة . ماكرون خادعون. ما لك وله يا صديقتي ، عودي الى زوجك ، وانسي هذا الشاب الخادع الماكر .

فتمتمت كلوديت ، وقد بدأت تستعيد روعها : لا .. انا لن اعود الى زوجي ، لن اعود الى داره . سأستأجر دارا اقيم فيها وحدي ، لمدة من الزمن، ريثما يفرجها الله علي . اما نهاد العاطي فسيكون حسابه عندي قاسيا صارما عسيرا .

قالت لويز : ما لك وله . دعيه وشأنه . سيدرك يوما

اي خطأ ارتكبه في ابتعاده عنك . وسيندم ، ولكن بعد فوات الاوان .

فارتسمت على شفتي كلوديت ابتسامة هازئة صفراء.

وهمست : لا ، انا لن ادعه يرتاح . سأقتفي خطواته، سأكتشف سره . نهاد العاطي خائن . ما كان لينصرف ويبتعد عني لو لم تكن ثمة امرأة جديدة في حياته . انا سأراقبه مراقبة شديدة . وسأعلم من هي تلك المرأة التي حلت في قلب نهاد العاطي ، واستطاعت ان تقصيني عنه . وسأحطمها وأحطمه كما حطم قلبي .

وبدت كلوديت روادن في ثورة لاهبة حمراء .

فالغيرة العاصفة اعمت بصيرتها ، ودفعتها الى الثورة والحنق والانتقام .

وعزمت العزم الثابت الاكيد على مراقبة نهاد .

ستراقبه مراقبة شديدة ، وتكشف اسراره كلها .

والويل كل الويل له ، اذا صدقت ظنونها ، واذا كان نهاد عالقا في هوى امرأة غيرها .

وراحت ترسم خطة المراقبة .

كيف ستراقبه ؟

وهل يجوز لها ان تقوم هي نفسها بمهمة المراقبة ؟

وانصرفت الى التفكير .

عليها ان تحسن رسم الخطة لئلا يدهمها الفشل ،

وتكون العاقبة وخيمة ، والكارثة قاصمة رهيبة ..

وطال تفكيرها دون ان تهتدي الى حل ..

وأخيرا ، وبعد تفكير طويل ، سطع في رأسها خاطر ارتاحت اليه بعض الارتياح .

ستستعين بصديقتها الحميمة السيدة سرسق ، وستستشيرها في الامر .

ان السيدة سرسق امرأة ذكية حكيمة .

تستطيع ان ترسم الخطط وان تنفذها .

سترشدها حتما الى الطريق الذي يوصلها الى هدفها ويحقق املها البعيد المدى الوارف الظلال ...

ولكن هل تنجدها السيدة سرسق ؟

وهل تساعدها ؟

وهل ترشدها الى ما يجب عليها ان تفعل ؟

اجل . من المؤكد ان السيدة سرسق ستكون لها نعم النصير ، لاسيما ولها في عنق تلك السيدة جميل لا ينسى .

فهي قد ساعدتها ، وقدمت لها الخدمات الجلى ، يوم دفعت بها الى المفوض السامي جورج بيكو ، لتنتزع من صدره الخفايا والاسرار .

وقد قامت كلوديت يومذاك بالمهمة خير قيام ، واستطاعت ان تؤدي للسيدة سرسق خدمات عديدة .

والآن ، جاء دور السيدة سرسق لترد لها الجميل .

وأسرعت زوجة المستشار الى ثيابها ترتديها على عجل ، وتطير الى القصر السرسقي الرابض في الناحية الشمالية من بيروت على انفة وعظمة وجلال .

واستقبلتها السيدة سرسق بالترحيب الشديد : اهلا بالسيدة كلوديت اهلا . لماذا هذا الصد والجفاء يا كلوديت؟ اين انت ؟ لماذا انقطعت عن زيارتنا طيلة هذه المدة ؟ انني لفي شوق رحيب اليك يا صديقتي .

وتمتمت كلوديت : شوقك الي ليس بأرحب ، ولا هو بأعمق من شوقي اليك يا صديقتي . الا ان المصائب والكوارث التي توالت علي اهابت بي الى الانقطاع عن زيارة الصديقات المخلصات الوفيات .

فتساءلت السيدة سرسق بلهفة : وما هي تلك المصائب والكوارث يا كلوديت ؟ لقد اقلقت خاطري . اخبريني كل شيء لعلي استطيع مساعدتك .

فاطمأنت كلوديت روداني ، والسيدة سرسق تعرض عليها المساعدة .

وهي ما جاءت اليها الا طمعا في تلك المساعدة .

قالت : سأروي لك كل شيء ، لن اخفي عنك شيئا، فأنا غريبة هنا في لبنان ، وليس لي من يهتم بي ويمد لي يد المساعدة سواك يا صديقتي .

وروت لها كل شيء •••

روت لها خيانة زوجها ، وتعلقه بهوى الراقصة الفرنسية الحسناء •

وروت لها كيف اعتصمت في دار صديقتها لويز شارمان •

وكيف ابت ان تعود الى دار زوجها ••

وروت لها قصة حبها لنهاد العاطي ••

واخيرا ، كيف تخلى عنها نهاد •••

لقد روت لها كل شيء ، ولم تخف عنها شيئا •

وأسفت السيدة سرسق شديد الاسف لما نزل بصديقتها الفرنسية من مصائب وويلات •

قالت : لقد آلمت فؤادي بما نزل بك يا كلوديت •

يجب ان تكوني شجاعة يا صديقتي • لا بد للانسان من مجابهة الصعاب في هذه الحياة ، والشجاع الشجاع في الحياة ، هو ذاك الذي يستطيع ان يصمد في وجه الكوارث والمصائب يا اختي •

قالت كلوديت : انني صامدة ، ولكنني اخشى ان أنوء تحت العبء الثقيل •

قالت السيدة سرسق : ارى ان تعودي الى دار زوجك • فالمرأة ليس لها من معين الا زوجها ، ومهما باعدت الاقدار بين الزوجة والزوج ، لا بد لهما من اللقاء

والصفاء •

قالت الفرنسية الحسناء : كل شيء الا هذا يا صديقتي • انا لن اعود الى الفونس رودان • لقد سئمت الحياة في داره • اريد ان اعيش كما تعيش نساء العالم • اريد ان اشعر بلذة هذه الحياة ؛ وانا في دار الفونس رودان ما شعرت يوما الا بالمرارة والعذاب •

قالت السيدة سرسق : ساحاول ان اوفق بينك وبين زوجك • سأتصل به الان ، وأدعوه لتناول طعام العشاء على مائدتي ، وتكونين انت ضيفتي ايضا •

فبادرت كلوديت : لا • لا •• ارجوك يا سيدتي الا تقدمي على هذه المحاولة • انا ما لجأت اليك لأتوسطك لدى زوجي ، بل جئت في مهمة اخرى •

قالت سيدة القصر السرسقي : وما هي هذه المهمة يا كلوديت ؟

فنفثت كلوديت دخان اللفافة الفاخرة في الفضاء •

وهمست : اريد ان اراقب حبيبي ، وقد لجأت اليك طالبة منك المساعدة يا صديقتي المخلصة الوفية •

فتساءلت السيدة سرسق : نهاد العاطي ؟

قالت كلوديت : اجل • نهاد العاطي • يلوح لي ان هناك امرأة سلخته عني • الا انني لست متأكدة من ذلك• قد اكون مخطئة في ما يلوح لي • ولذلك فقد عزمت على

مراقبته ، الا انني لست ادري كيف انفذ فكرتي هذه ، ولا كيف استطيع مراقبته .

فأمسكت السيدة سرسق يدها ، تشدها على عطف وشفقة وحنان لتقول : اسمعي يا كلوديت ما اقول لك . نهاد العاطي يضحك منك ويخدعك . هذا الشاب على علاقة هوى وحب وغرام باللادي ايفا كوينز ، فهو ابدا عندها . لا يخرج من قصرها الا ليعود اليه . ما الك وله يا صديقتي . لا تفكري به بعد الان ، لانه لا يستحق ذرة صغيرة من حبك العظيم .

نهاد على علاقة باللادي كوينز ؟

وشعرت كلوديت بدوار شديد ، والسيدة سرسق تطلعها على هذا السر الخفي .

وأحست بالنار تحرق قلبها وتذيب قواها .

فتلاشت ، وكادت الدموع تثب من عينيها .

الا انها ابت ان تسمح لدمعها بالانهمار .

لا ... كلوديت لن تبكي ، ولن تذرف الدمع .

وأغمضت عينيها .

وهمست : مجرم .. خائن .. شرير ...

وأدركت السيدة سرسق اي وقع كان وقع ذلك الخبر على قلبها .

فندمت على ما بدر منها .

ليتها لم تطلعها على ذلك السر ..

مسكينة كلوديت ، فهي تحب ذلك الشاب اللبناني الوسيم حبا عاصفا لاهبا شديدا .

والشاب اللبناني يخونها .

فالمصيبة اذن رهيبة قاصمة دهياء .

وساد الصمت برهة بينهما ...

وعادت السيدة سرسق الى الكلام، بعد صمت قصير، لتقول : خففي عنك يا صديقتي . فالمصيبة تبدأ كبيرة ، الا انها لا تلبث ان تصغر . غدا ستنسين هذا الشاب الخادع الماكر . ليس لك ان تحزني لابتعاده عنك ، ولا ان تغضبي، فهو لا يستحق منك كل هذا الاهتمام.

ولم تنبس كلوديت بحرف .

لقد كانت في حال مؤسفة مؤلمة .

فالمصيبة هدت كيانها ، وعصفت بها .

لم تكن لتتوقع لحبها الندي مثل هذا المصير .

يا لحظها التعيس المنكود ...

وشدت يد السيدة سرسق يدها .

وهمست : تشجعي يا كلوديت . ولا تدعي الحزن يعصف بشبابك ، ويذبل جمالك . انت ما زلت في شرخ الشباب ، حسناء، فاتنة . اذا اضعت نهاد العاطي فستجدين مئة نهاد غيره . قلت لك ، واعيد القول الان ، ما لك وله.

دعيه لهذه البريطانية الحسناء التي تلعب به كما تلعب الهرة بالفأر • سيندم صاحبك نهاد العاطي على ما بدر منــه حيالك ، ولكن بعد فوات الأوان •

واقبلت الخادمة حاملة لهما القهوة •

وتناولت كلوديت فنجان القهوة ترشفــه ، وتنفث دخان اللفافة •

واستطاعت بعد دقائق قليلة ان تستعيد قواها ، وان تتكلم •

فقالت متسائلة : هل انت متأكدة يا صديقتي ممــا تقولين ؟

قالت السيدة سرسق : لم يكن لي ان اطلعك علــى هذا السر ، الذي اثار فيك مكمن الحزن والالم ، صدقيني يا كلوديت ، انني لو كنت اعلم ان هذا النبأ سيؤلمك لما حملته اليك • انا لم اكن اعلم انك تقيمين من نهاد العاطي على مثل هذا الحب الكبير • ولكن يبدو ان الله يريــد انقاذك من هذا الخائن الماكر ، الذي يحاول ان يلعب بقلبك الطاهر النبيل • اما الان ، وقد وقفت على الحقيقة ، فلــم يعد لي ان اختفي عنك كل ما اعلمه عن نهاد العاطي •

قالت زوجة المستشار : ارجو ان تطلعيني على كل ما تعرفين عنه وعن اللادي كوينز •

فنفثت السيدة اللبنانية دخان لفافتها لتقول : لم يعد

ثمة في المجتمع الارستقراطي من يجهل تلك العلاقة المتينة القائمة بين سكرتير زوجك وتلك المرأة البريطانية الفاتنة• تصة حبهما اضحت على كل شفة ولسان • ولكن ما يحيرني هو ان اللادي كوينز لم تختر من رجال لبنان وشبانــه الوجهاء الاثرياء ذوي المال والوجاهة والوسامــة والشباب احدا ، لم تختر الا نهاد العاطــي • لماذا ؟ لست ادري • هناك سر ، سر عميق في قلب هذه البريطانية الغامضة ، القادمة الينا من بلاد الضباب • ويجب ان نكتشف هــذا السر •

ولم تكن كلوديت لتهتم «بالسر» الكامن في قلب اللادي كوينز •

ذلك السر الذي يشغل بال السيدة سرسق •

كل ما كان يهمها هو ان تتأكد من ان نهاداً يحب اللادي كوينز •

تريد ان تستقصي الحقيقة الناصعة البياض •

والويل كل الويل لنهاد ولتلك البريطانية الماكرة ، اذا ثبت لها انهما على علاقة عميقة ، كما تقول السيدة سرسق•

وانصرفت كلوديت الى التفكير •

كما انصرفت ايضا السيدة سرسق الى التفكير •

كانت كلوديت تفكر بحبيبها الخائن الجانح عنهــا المتمرد على هواها •



في حين كانت السيدة سرسق تفكر بالحسناء البريطانية التي تزاحمها على الوجاهة والنفوذ ، واقامة المآدب والاستئثار بصداقة رجال الحكم والسياسة .

والسيدة سرسق ذكية حكيمة ، وسياسية تتقن اصول السياسة واساليبها .

وكان لها ايام الانتداب كلمة نافذة مسموعة لدى الفرنسيين . فكيف ترضى بأن تزاحمها امرأة غريبة على الوجاهة والنفوذ في لبنان ؟

والتقت افكار السيدتين ، الفرنسية واللبنانية ، عند نقطة واحدة : الانتقام من اللادي كوينز .

وطال تفكيرهما ، وهما [illegible] على صمت وشرود .

واخيرا ، بعد تفكير طويل ، التفتت السيدة سرسق الى صديقتها الفرنسية لتقول : عودي الى دار زوجك يا كلوديت ، وانسي نهاد العاطي .

وهمست كلوديت : لا .. لن اعود الى دار الفونس روداك . انا سأنتقم من نهاد العاطي ، ومن حبيبته اللادي كوينز . سأراقبه واحصي عليه خطواته ، فاذا ثبتت لي خيانته ، كان لي معه حديث طويل بعيد . واذا اتضح لي انه مخلص وفي ، امسكت بيده وطرت واياه الى اقاصي الارض .

قالت : وكيف تستطيعين مراقبته ؟

قالت كلوديت : هذا ما جئت استشيرك فيه .
فتمتمت السيدة سرسق : ارى ان نكلف احـــد
اصدقائنا بمراقبته ، وبمراقبة اللادي كوينز .
قالت كلوديت : ولكن من هو هذا الصديق الـذي
سنعهد اليه بالمهمة ؟
فعادت السيدة سرسق الى التفكير .
صحيح ! من هو ذاك الصديق الذي يستطيع ان يقوم
بتلك المهمة الصعبة ؟
وطال تفكير السيدة سرسق دون ان تهتدي الى حل.
واستأنفت كلوديت الكلام بعد صمت قصير
لتقول : ارى ان الامر ليس سهلا يا صديقتي . فقد لا
نستطيع ان نقع على صديق نسلمه سرنا ، ويقوم بالمهمة .
قالت السيدة سرسق : سأجد هذا الصديق . ولكن
اتركي لي مجال البحث والتفكير . غدا ان شاء الله سيكون
ذلك الصديق بين ايدينا .
ونهضت كلوديت مودعة لتقول : سأعود اليك غداء
فسألتها : الى اين تذهبين الان ؟
قالت: سأعود الى دار صديقتي السيدةلويز شارمان،
ريثما اهتدي الى دار استأجرها وأقيم فيها .
فهتفت السيدة سرسق متسائلة : أتريدين استئجـار
دار تقيمين فيها وحدك ؟

قالت : اجل . هذا ما عزمت عليه .
فانبسطت اسارير السيدة اللبنانية ، وتمتمت : لقــد
وجدت من يراقب اللادي كوينز ونهاد العاطي .
قالت كلوديت : ومن هو ؟
قالت : انت يا كلوديت . ليس ثمة مــن يستطيع ان
يراقب اللادي كوينز ونهاد العاطي سواك .
فتساءلت : انا ؟ وكيف ؟
قالت : ستستأجرين دارا تقيمينفيها قرب قصر اللادي
كوينز ، ومن دارك المتواضعة تراقبين ذلك القصر ، وتقفين
على اسرار هذه المرأة البريطانيــة ، الغريبة الاطــوار ،
وتكتشفين سر حبيبك المتمثل في الغدر والبعاد .
وعادت كلوديت رودان الى الجلوس لتقول : أراك
على صواب يا صديقتي العزيزة . انها لفكرة رائعة ، ارجو
ان يكتب لها التنفيذ .
قالت : وسيكتب لها التنفيذ ان شاء الله .
قالت كلوديت : سأبدأ منذ الان بالبحث عن دار قرب
قصر اللادي البريطانية في ضواحي بيروت .
فتمتمت السيدة سرسق : لا .. لا تتعبي نفسك في
التنقيب ، انا سأكلف احد موظفي مكتب اعمالي بالبحث
عن الدار . وارجو ان تستطيعي الانتقال الى دارك العامرة
الجديدة خلال يومين .

قالت : وماذا سأفعل الان ؟

قالت : عليك ان ترتاحي ، وان تلقي بالحمل عن عاتقك الى عاتقي . عودي الي غدا . من يدري ، قد يكتب لنا التوفيق في العاجل الوشيك .

وودعت كلوديت صديقتها المخلصة الوفية .

وعادت الى دار لويز شارمان ، والقلق يعصف بها والغيرة العمياء تهز كيانها وتعصر قلبها وتحرق فؤادها الولوع . وأقامت ترقب تنفيذ الفكرة ، فكرة استئجار دار قرب قصر اللادي كوينز .

ترى هل توفق السيدة سرسق في العثور على الدار المطلوبة ؟

عليها ان تنتظر . فالسيدة سرسق وعدتها باستئجار الدار خلال يومين .

عليها اذن ان تنتظر يومين .

الا ان السيدة سرسق لم تدعها تنتظر يومين .

فقد اتصلت بها في اليوم التالي لتقول : كلوديت ! الدار جاهزة . لقد استأجرتها . انها لتقع على كتف قصر اللادي كوينز . ستشاهدين منها كل شيء وتكتشفين ما تريدين ان تكتشفي من الاسرار .

وفرحت كلوديت للبشرى السارة .

وأسرعت الى دار زوجها ، لتجمع ثيابها وأغراضها

وحليها، وتنتقل بها الى دارها الجديدةفي ضواحي بيروت، غير آسفة على تلك السنين التي قضتها في دار الفونس روذان .

وكانت دارها الجديدة التي اختارتها لها السيدة سرسق ، تقع قرب قصر اللادي كوينز .

انها لدار حديثة البناء ، تقع في الطابق الثالث في بناية فخمة ، وتطل على نوافذ وابواب وشرفات قصر اللادي كوينز .

اي ان باستطاعة الجالس في تلك الدار ان يشاهد كل من يدخل الى القصر ، وكل من يخرج منه .

كما يستطيع ان يشاهد ، عبر النوافذ ، كل ما يجري في ذلك القصر الشامخ الشاهق المتين الاركان .

وكانت السيدة سرسق قد زينت تلك الدار بالرياش والتحف والرسوم ، كي تليق باقامة زوجة المستشار في جنباتها. واطمأنت كلوديت كل الاطمئنان، وقد استقرت في تلك الدار .

وأقامت تراقب باهتمام وفضول نوافذ وابواب قصر اللادي كوينز ، وهي على فضول وخشية .

ترى هل ستكتشف خيانة حبيبها ؟

هل ستشاهد نهاد العاطي في قصر البريطانية الفاتنة الحسناء ؟

الفَصْل الثالث

اكتشف المستشار الفونس رودان ، حضور زوجته المتمردة الى الدار والاستيلاء على ثيابها وحليها.

فكاد يجن .

ما دامت كلوديت قد استولت على ثيابها وحليها وهربت بها من داره ، فهي لن تعود اليه ...

ووثب المستشار الى خادمته ليلى هادرا : كيف دخلت سيدتك الى الدار ؟ وكيف استولت على ثيابها ؟ وكيف سمحت لها بذلك ؟ ولماذا لم تتصلي بي وتطلعيني على الامر ؟

وذعرت ليلى ، وهي تشاهد سيدها في ثورته الجامحة اللاهبة العاصفة .

وتمتمت : لم يكن لي ان اعترض السيدة كلوديت يا سيدي ، وهي سيدتي ومولاتي . هل كان بوسعي ان احول بينها وبين الدخول الى غرفتها ؟

فايقن ان الخادمة على حق في ما تدعي .

هي لا تستطيع ان تعترض سيدتها .

ولا ان تمنعها من الاستيلاء على ثيابها وحليها.

والقى المستشار رودان بجسده المضطرب الواهي على مقعد رجراج وثير .

وقد بدأت ثورة غضبه تتلاشى ، لتحل محلها ثورة ألم وحزن وشجن .

وشعر باعصابه ترتجف .

وبقلبه ينبض على سرعة واندفاع .

فخشي ان يخونه ذلك القلب ، ويتوقف عن النبض .

زوجته سبب شقائه وعذابه .

لقد صدمته كلوديت في احلامه وامانيه .

وحطمت قلبه ، وجنت على سعادته الباسمة الوارفة الظلال .

وراح يفكر .

ماذا عليه ان يفعل الآن ؟

والى من يلجأ ؟

وكيف يتصرف ؟

هو يريد ان يتقي الفضيحة ، وان يعيد زوجته الى داره .

انفصال زوجته عنه سيحطم حياته ، ويقضي على

مقامه ، وربما قضى على حياته ايضا ..

وشعر بالوهن وبالعياء .

شعر بان سنينا بعيدة ازدادت في عمره.

فكأنه اجتاز ، خلال تلك الايام العصيبة القليلة ، عشرين سنة من العمر .

فخاف ، وخشي ان يخسر صحته وعافيته ، بعد ان خسر زوجته .

وطال تفكير المستشار ، دون ان يهتدي الى حل .

ونهض ، وخرج من الدار على غير هدى .

فهو لا يعلم الى اين يسير ، ولا الى اين يقصد ..

واذا به يجد نفسه في ديوانه ، في دار الحكم .

وجلس الى مكتبه محاولا العمل ، الا انه لم يستطع العمل .

فراح يدخن ويفكر ..

وفيما هو غارق في تفكيره العميق الغور ، دخل عليه الحاجب ليقول : الكومندان بوكار في الباب يا سيدي .

وأفاق المستشار من شروده ، وتمتم : فليتفضل بالدخول .

ودخل الكومندان بوكار ، وهو شاب في الثلاثين من العمر ، على وسامة وقوة واعتداد .

وكان الكومندان بوكار صديق المستشار رودان الحميم .

وكان بينهما علاقات مالية .

فهناك مشاريع عدة ، تدر عليهما الاموال الطائلة .

كانا ينفذانها معا .

ورحب المستشار بالكومندان شديد الترحيب .

ولكن الكومندان لمس في صديقه المستشار القلق والاضطراب والوجوم .

فسأله : ما بك يا صديقي ؟ اراك قلق البال ، مضطرب الخاطر ، شارد الذهن .

وتمتم المستشار : انني في مأزق حرج ، ايها الصديق العزيز .

قال الكومندان : ما هو هذا المأزق ؟ افصح لي عما يقلق خاطرك ، ايها المستشار العزيز ، علي استطيع ان اخفف العبء عنك .

فتردد المستشار .

الا ان الكومندان ألح في معرفة اسرار صديقه .

فنزل المستشار عند إلحاح صديقه الحميم .

وروى له كل شيء ..

لقد اخبره ان زوجته دهمته مع عشيقته الراقصة الفرنسية الحسناء ، فغضبت وهجرت الدار ، ولجأت الى

دار صديقتها لويز شارمان .

قال الكومندان بوكار : ما دمت انت المخطىء ، عليك ان تشخص اليها معتذرا ، طالبا الصفح والعفو .

قال : لجأت اليها ، مسترضيا معتذرا نادما ، فما اصغت الي ، وأسمعتني الشتائم واللعنات . ومما زاد في قلقي واضطرابي هو انها شخصت امس الى الدار وأخذت ثيابها وحليها، وهذا ما يشير الى انها عازمة على الفراق.

فصمت الكومندان بوكار ، وانصرف الى التفكير .

في حين راح المستشار رودان يدخن على قلق وحيرة ووجوم ..

وعاد الكومندان الى الكلام ، بعد صمت قصير ، ليقول : ارى ان الامر تطور بينكما يا صديقي ، وهذا ما يوجب تدخلي . سأسعى لك عندها بالعفو والرضى .

قال المستشار : أتشخص اليها مسترضيا ؟

قال : هذا ما افكر به .

قال المستشار : انها لتقيم في دار صديقتنا وصديقتك ارملة الكومندان شارمان . سر اليها ، وحاول استرضاءها واعادتها الي ، قد توفق حيث اخفقت انا يا صديقي العزيز .

ووقف الكومندان بوكار ليقول : سأشخص اليها الآن . ارجو ان أوفق في مهمتي وأعيد السيدة كلوديت

اليك .

وخرج الكومندان بوكار ليشخص الى دار لويز شارمان ..

ورحبت به السيدة شارمان الترحيب الشديد .

فهو صديقها ، وكان صديقا لزوجها الراحل .

ودعته للجلوس .

وقدمت له المرطبات والقهوة سائلة : ماذا دعاك للتفكير بنا، بعد انقطاعك الطويل عنا ايها الصديق القاسي؟

قال الكومندان : الحقيقة هي انني قادم اليك بمهمة يا صديقتي .

قالت متسائلة : ما هي هذه المهمة ؟

قال : علمت ان السيدة كلوديت رودان على خلاف شديد مع زوجها ، وقد هجرت دار الزوجية ولجأت اليك.

فلمعت ابتسامة واهية على شفتيها وتمتمت : مسكينة كلوديت . انها لامرأة تعسة في حياتها الزوجية .

قال : علينا ان نسعى لاعادتها الى زوجها .

قالت : لقد حاولت اقناعها بالعودة الى ذلك الزوج الخائن ، الا انني اخفقت .

قال : اريد ان اراها ، قد استطيع ان اوفق حيث اخفقت انت .

قالت : انني آسفة يا سيدي الكومندان ، كلوديت

ليست هنا •

قال : ومتى تعود ؟

قالت : يخيل الي انها لن تعود • فقد تركت داري منذ يومين •

قال : واين تقيم ؟

فقلبت شفتيها ، وهزت كتفيها وهمست : لست ادري •

فوجم الكومندان بوكار ، وتمتم : هل هناك من يستطيع ان يرشدني الى مقرها ؟

قالت : اسمع يا صديقي الكومندان ، نصيحتي اليك ان لا تحاول المستحيل • كلوديت عازمة على الانفصال عن زوجها • هي لن تعود اليه ، بعد ان لمست خيانته بيدها • وأنت تعلم ، كما اعلم انا، وكما يعلم جميع الاصدقاء ، انها لا تحب زوجها ، وانها كانت تنتظر الفرصة السانحة للابتعاد عنه • وها ان الفرصة سنحت لها الان ، وهي لن تضيعها •

قال : لقد عزمت على التحدث اليها ، واني لواثق من ان كلوديت ستصغي الي ، وتنزل عند طلبي وإلحاحي •

قالت : اذن ، ما دمت مصرا على البحث عنها ، فعليك الاتصال بالسيدة سرسق ، قد تستطيع السيدة سرسق ان ترشدك الى مقرها •

وشكر الكومندان بوكار صديقته لويز شارمان ، ونهض مودعا ليشخص توا الى القصر السرسقي ، الجاثم في الناحية الشمالية من بيروت على عظمة وانفة وشموخ ••

والكومندان بوكار صديق السيدة سرسق الحميم • لقد كانت السيدة سرسق يومذاك صديقة رجال الانتداب ، وكانت على علاقة وثيقة بكبار الضباط والموظفين الفرنسيين •

فكان من الطبيعي ان تستقبل الكومندان بوكار بالترحيب الشديد ••

واوضح الكومندان الفرنسي لسيدة القصر القصد من تلك الزيارة المفاجئة ، طالبا اليها ان ترشده الى مقر زوجة المستشار •

وتساءلت السيدة سرسق : ماذا تريد منها ؟

قال : انني بحاجة اليها • انني لفي مسيس الحاجة اليها •

وأبى الكومندان بوكار ان يعلن للسيدة سرسق السبب في البحث عن كلوديت •

فهو لا يريد ان يفشي اسرار صديقه المستشار •

ولا يريد ان يفضحه امام سيدة لبنانية •

يكفي ان الفضيحة وصلت الى السيدة لويز شارمان

الثرثارة . التي ستنشرها بين الفرنسيين والفرنسيات .

وتمتمت السيدة سرسق بمكر وخبث : لست ادري اين تقيم السيدة كلوديت . فهي تزورني من حين الى اخر . اذا شئت يا صديقي الكومندان بحثت لك عنها . اتصل بي غدا . قد استطيع ان اقف على مقرها .

قال : ارجو ان تؤدي لي هذه الخدمة ، اكون شاكرا جميلك اذا استطعت ان ترشديني الى مقر زوجة المستشار .

قالت : سأجرب ، وارجو ان اوفق في مسعاي .

وودع الكومندان بوكار السيدة سرسق .

وانصرف ، وهو يفكر في مصيبة صديقه المستشار .

اين اختفت كلوديت ؟

واين حطت منها الرحال ؟

اتكون عاشقة ولهى ، فرت من زوجها مع عشيقها ؟

هو يستطيع ان يكشف جميع تلك الاسرار وان يقف على مقرها بكل سهولة .

ما عليه الا ان يكلف المكتب الثاني في الجيش الفرنسي ، او ان يكلف مديرية الامن العام ، او رجال التحري في البحث عنها .

ساعات قليلة وتكون كلوديت بين يديه .

فهل يقدم على هذه الخطوة؟ وفكر الكومندان بوكار مليا في الامر .

وهمس في سره : لا .. لا يجوز ان تصل هذه الاسرار العائلية الى الدوائر الرسمية .

سأعود غدا الى السيدة سرسق عساها ان تقف على مقرها ، واذا لم توفق ، يبقى لكل حدث حديث .

وفي حين كان الكومندان بوكار ينصرف من قصر السيدة سرسق مفكرا في المصيبة الدهياء النازلة بصديقه المستشار ، كانت السيدة سرسق تسرع الى كلوديت رودان لتقول : كلوديت ! يبدو ان هناك اسرارا هامة تجري حولك . ان الكومندان بوكار يسأل ويبحث عنك يا صديقتي .

وكانت كلوديت واهية القوى ، دامعة العين ، قلقة مضطربة ثائرة .

فلم تأبه لما تقول السيدة سرسق .

وتمتمت : مجرم .. خائن .. سأقتله واقتلها ...

وسألت السيدة سرسق : من هو ؟ اخبريني .. ما بك يا كلوديت ؟ ماذا جرى ؟ ماذا حدث ؟

قالت كلوديت وهي تمسح دمعها: لقد تحققت ظنوني يا سيدتي . نهاد العاطي على علاقة اثيمة بهذه البريطانية الفاسقة . انه يزورها كل يوم ، لقد شاهدته امس، واليوم يدخل الى قصرها ، ليقيم فيه ساعات طوالا . وليلة امس دخل الى قصرها الساعة الثامنة ، ولم يخرج منه الا والليل

قد اشرف على الانتصاف • لقد شاهدته يدخل الى قصر البريطانية من نافذة هذه الدار فكدت اجن ، وهممت بأن اشهر مسدسي وأثب الى قصر جارتي البريطانية لأفرغ في رأسه وفي رأسها رصاصتين وأخلص منهما ، الا انني تمالكت نفسي، واستطعت ان اسيطر على ثورتي وجنوني• ولكن •• ولكن ثقي يا صديقتي ، ان نهاد العاطي لن ينجو من انتقامي • انني اكرهه •• اكرهه •• اكرهه حتى الموت •

وانتابتها ثورة جامحة عاتية هوجاء •

فأخذت تشتم وتعربد وتسب •

وراحت السيدة سرسق تطيب خاطرها وتدعوها الى التعقل والرصانة •

فتحولت ثورة غضبها الى نوبة بكاء •

وأجهشت بالبكاء •••

وارتمت على صدر السيدة سرسق وهي تتمتم : يا ضياع الامل •• خيل الي انه يحبني وانه مخلص في حبي، فاذا به مجرم فاسق خائن شرير •

وتمتمت السيدة سرسق : ان الله ينتقم لزوجك منك يا كلوديت • ارى ان تعودي الى زوجك وتنسي نهاد العاطي •

فهدرت : لا •• زوجي ليس بأفضل من ابن العاطي،

كلاهما في الهواء سواء • ذاك زوجي ، لا يقل خيانة عن هذا ، كيفما ادرت بصري لا اقع الا على الخائنين •

فأشعلت السيدة سرسق لفافة وقدمت لصديقتها كلوديت لفافة ، راحتا تنفثان دخانهما في الفضاء • وعادت السيدة سرسق الى الكلام لتقول : اسمعي يا كلوديت • يلوح لي ان هذه البريطانية الحسناء ما جاءت الى بلادنا الا من اجل تحقيق أغراض سياسية ، انها لبعيدة عن قضايا الحب والعشق والغرام • انني اجزم لك بأنها لا تحب نهاد العاطي ، وانها تتخذ منه مطية للوصول الى مآربها ، ومآرب من ارسلها الى هذه البلاد • اذا شئت ان تنتقمي منها ومن حبيبك الخائن فما عليك الا ان تساعديني على اكتشاف سرها ، وبذلك تكونين قد اصبت عصفورين بحجر واحد • تنتقمين لقلبك الصريع ، وتؤدين خدمة لأبناء وطنك ، وربما اديت خدمة لوطني ايضا •

فهمست كلوديت ، وهي تمسح دمعها المدرار : كيف نستطيع اكتشاف سرها ؟

قالت سيدة القصر السرسقي : استمري في مراقبة قصرها من نافذة غرفتك ، يجب ان نعلم كل شيء عنها :

من هم اصدقاؤها ؟

من يزورها ؟

من يتصل بها ؟

متى تخرج من قصرها ؟
متى تعود ؟

قالت : وهل يخيل اليك اننا سنوفق في اكتشاف اسرارها ؟

قالت : هذا ما ارجوه .

قالت : واذا اكتشفنا هذه الاسرار ؟ ماذا سنفعل بها؟

فنفثت السيدة سرسق دخان لفافتها في الفضاء ، وهمست ، بعد تفكير قصير : اسمعي يا كلوديت . لقد قلت لك ان الكومندان بوكار يسأل عنك . ارى ان تقابليه . لنقف على ما يريد منك ثم .. ثم من يدري ، قد يساعدنا الكومندان بوكار على تطويق هذه البريطانية ، واكتشاف سرها الغامض الدفين . اذا تحققت ظنوننا وكانت اللادي كوينز جاسوسة ، او عميلة ، او ذات مآرب سياسية بعيدة ، فان الكومندان بوكار سيتكفل بالقضاء عليها ، وعلى جميع مآربها ، ونواياها ، ومشاريعها .

فهمست كلوديت : سأعمل برأيك . وسأتابع مراقبة اللادي كوينز .

قالت السيدة سرسق : غدا سيتصل بي الكومندان بوكار . لقد وعدته بأن ابحث عنك . سأقول له : «لقد وجدتها» . وسأقوده الى هنا . نريد اولا ان نعرف ماذا يريد منك هذا الضابط الفرنسي الكبير ؟

قالت : هل ترين ان من الافضل ان يقف الكومندان على مقري ؟

قالت السيدة سرسق : وأي خطر في ذلك ؟ هل يخيل اليك ان الكومندان سيشكل خطرا علينا ؟ انا ارى العكس يا صديقتي . ارى ان الله قد ارسل لنا الكومندان بوكار ليمد لنا يد المساعدة . سأقوده غدا الى هنا . يجب ان يعلم ان دارك لا تبعد عن دار اللادي كوينز سوى امتار قليلة .

فتمتمت كلوديت : ليكن ما تريدين . سأعمل بنصائحك ، عسى الله ان يفرجها عليّ ويريحني من عذاب هذا القلب الموجع الثائر الجموح .

وودعت السيدة سرسق صديقتها الفرنسية ، وعادت الى قصرها ، وهي تفكر باللادي كوينز .

هذه اللادي تزاحمها على النفوذ في لبنان .

منذ ان وطأت قدماها ارض لبنان وهي تقيم المآدب والحفلات لرجال الحكم ، وتسعى لتوطيد علاقتها بهم .

السيدة سرسق لن ترضى بهذه المزاحمة غير المشروعة . ستقضي على نفوذ هذه البريطانية الحسناء ، وتفضح اسرارها ، وتقلم اظافرها .

واذا استطاعت ان تقصيها عن لبنان ، فهي لن تتأخر .

وأقامت السيدة سرسق ترقب عودة الكومندان بوكار •

ولم يطل انتظارها •••

فقد اقبل الضابط الفرنسي في اليوم التالي ليسألها: ماذا ايتها الصديقة العزيزة ؟ هل وقفت على مقر كلوديت رودان ؟

وهمست السيدة سرسق : البشرى لك • كلوديت تقيم في دار فخمة في ضواحي بيروت • يبدو انها على خلاف مع زوجها ؛ وهي قد غادرت منزلها الزوجي لتقيم وحدها • مسكينة كلودت ، انها بائسة مظلومة ، ليتنا نستطيع تبديد الغيوم التي تسود علاقتها الزوجية •

فتمتم الكومندان ، وقد ايقن ان الامر افتضح : من اجل هذا ابحث عنها • اريد منك ان تساعديني على اعادتها الى زوجها •

قالت : سأعمل كل ما في وسعي ، ايها الصديق العزيز • هيا بنا اليها •

وسارا الى دار كلوديت • ورحبت زوجة المستشار بهما •

وجلس الكومندان الى يسارها وجلست السيدة سرسق الى يمينها •

وبدأ الكومندان الحديث قال : قد تستغربين زيارتي

هذه ، ايتها السيدة كلوديت ، ولكن عندما تعلمين القصد منها ، يزول لديك كل استغراب •

فتمتمت كلوديت : خير ان شاء الله •••

قال : انت سيدة عاقلة ، كريمة الخلق ، حكيمة ، رصينة ، كاملة التهذيب • كلنا نقدر فيك هذه المزايا الحميدة ، ونحترمك ، ونحبك •

فتبادلت كلوديت وصديقتها السيدة سرسق ، نظرة سريعة وتمتمت : شكرا ايها الكومندان •

قال محاولا ان ينفذ الى الموضوع توا : والمرأة العاقلة ، الحكيمة، الرصينة ، لا تخرج من دارها الزوجية• اذا كان لا بد من خروج احد الزوجين من الدار ، فالزوج هو الذي يخرج ، لا الزوجة •

قالت، وقد بدأت تفهم ما يريد : ارجو ان لا تحدثني بامر العودة الى داري الزوجية يا صديقي • هذه الدار اصبحت محرمة عليّ •

فتدخلت السيدة سرسق ، لتوهم الكومندان بوكار انها تقف في جانبه ، وقالت : دعي الكومندان يكمل حديثه يا كلوديت •

وأكمل الضابط الفرنسي حديثه قال : اذا كان ثمة غمائم سوداء تتلبد في جو علاقتك بالسيد رودان ، فنحن على استعداد لتبديدها •

وهدرت كلوديت غاضبة : ارجو الا تتلفظ باسم هذا الرجل أمامي ، ان ذكر اسمه يثير غضبي ، ويبعث في نفسي الكره والحقد والنفور .

فتمتم الكومندان بوكار : يجب ان تتذكري ان هذا الرجل ، الذي يثير ذكر اسمه الحقد والكره والنفور في نفسك ، هو زوجك ايتها السيدة كلوديت ، وانك قضيت واياه سنينا طوالا ، وانك ما زلت تحملين اسمه .

قالت : لم اكن في حياتي آسفة على شيء ، مثلي على هذه السنين التي هدرتها من عمري في دار صديقك المستشار ايها الكومندان .

فرأى الضابط الفرنسي الوسيم ان يثب الى الموضوع توا قال : ما مضى قد مضى الآن . فلنبدأ حياة جديدة منذ اليوم . ما حدث بينك وبين المستشار لا يدعو الى هدم منزلكما الزوجي . فلنبدد الغمائم السوداء التي تسود علاقتكما ايتها السيدة كلوديت ، وانا اضمن لك حياة سعيدة هانئة في دارك الزوجية .

فلمعت على شفتيها ابتسامة هزء وسخرية لتقول : لقد ذقت طعم هذه الحياة الهانئة السعيدة في تلك الدار ، واكتفيت . دار المستشار رودان اصبحت محرمة علي . لن تطأ قدماي عتبتها بعد الآن .

قال: لن يصل بكما الامر الى هذه الحال ايتها السيدة

كلوديت . سأرافقك الآن الى دارك ، ويكون المستشار بانتظارك ليطلب منك المعذرة والغفران ، ويعلن ، أمامك وأمامي ، التوبة الصادقة الكاملة .

قالت : وابتسامة الهزء لا تفارق شفتيها : حلمك هذا لن يتحقق ايها الكومندان العزيز .

وتدخلت السيدة سرسق ، محاولة ايهام الضابط الفرنسي بانها تقف الى جانبه في محاولة الاقناع .

قالت : من الافضل لك ان تعودي الى زوجك يا كلوديت .

فتلاشت الابتسامة الهازئة عن شفتي زوجة المستشار، لتحل في عينيها موجة غضب شديد ، قالت : لن اعود الى هذا الرجل الفاسق المتهتك الشرير . دعوني وشأني .. دعوني .. لقد اتخذت قراري ، ولن اعود عنه .

ولم يخف غضبها الكومندان بوكار فوقف يقول : انت حرة في ما تتخذين من مقررات يا سيدتي ، ولكن يجب ان تعلمي ان زوجك قادر على استعادتك بالقوة ، ان لم يكن بقوة القضاء ، فسيكون ذلك بقوة رجال الحكم، ساعة يرغب ويريد .

وهم الكومندان بوكار بالسير .

الا ان السيدة سرسق وقفت بينه وبين ما يريد .

وامسكت بيده لتقول : هل تسمح لي بكلمة ايها

الكومندان ؟

وقبل ان يجيب ، قبل ان يسمح لها ، قادته الى الشرفة ، الشرفة المطلة على قصر اللادي كوينز .

ووقفت قربه لتقول : ارى ان تترك لها مجال التفكير ايها الكولونيل ، وليس لنا ان نرغمها على العودة الى زوجها الآن .

قال : سأترككما معا ، وارجو ان تحاولي اقناعها ايتها السيدة سرسق . لاننا سنؤدي خدمة انسانية الى المستشار رودان ، والى كلوديت ايضا ، اذا استطعنا ان نوفق بينهما .

قالت : سأحاول ، وانني لأرجو ان اوفق في مسعاي .

قالت السيدة سرسق هذا .

والتفتت الى قصر اللادي كوينز لتقول : ما اجمل هذا القصر الهادىء الساكن المنيف .

لقد نطقت السيدة سرسق بهذه الكلمات ، وهي تراقب وجه الكومندان باهتمام .

كانت تريد ان تفتح معه حديثا حول سيدة ذاك القصر .

وهي ما خرجت به الى الشرفة الا لتطلعه على ان كلوديت اصبحت جارة اللادي كوينز .

وتمتم الكومندان بوكار : انه قصر اللادي كوينز .

قالت: انا لا اجهل ذلك . ان اللادي كوينز صديقتي، ولكن ..

وتوقفت عن الكلام عند «ولكن ..»

مما اهاب بالضابط الفرنسي الى التساؤل : ولكن ماذا ايتها الصديقة العزيزة ؟

قالت : ولكن تصرفاتها تدهشني ، فهي توطد علاقاتها بكبار الشخصيات ، ورجال السياسة اللبنانيين ، ويخيل الي ان وراء نزولها في لبنان اسرارا عميقة .

فصمت الضابط الفرنسي .

وانصرف الى التفكير .

قد تكون السيدة سرسق على حق .

لماذا توطد هذه السيدة البريطانية علاقتها برجال السياسة اللبنانيين ؟

او بالاحرى لماذا جاءت الى لبنان ؟

وعادت السيدة سرسق الى الكلام لتقول : يخيل الي ان ثمة سرا داخل جدران هذا القصر .

قال : انني لأقدر نباهتك وذكاءك يا سيدتي فقد لفتّني الى امر مهم .. سأحاول الوقوف على ما يدور داخل هذا القصر من أسرار .

واطمأنت السيدة سرسق .

خطتها ستؤول الى النجاح .

هي تريد ان تطلق رجال الاستخبارات الفرنسيين في اثر هذه البريطانية الحسناء ، التي تشكل خطرا على نفوذها ووجاهتها وزعامتها •

وهمست السيدة سرسق ، وابتسامة المكر والدهاء تطفو على شفتيها : ما هو رأيك في ان نكلف كلوديت بمراقبتها ، ما دامت في جوارها ؟

وعاد الكومندان بوكار الى صمته العميق يعتصم به ••

وهمس بعد صمت قصير : سأفكر بالامر • قد تستطيع كلوديت ان تؤدي لنا خدمات جلى • دعيني اتدبر امر هذه السيدة الحسناء القادمة من بلاد الضباب ، وتدبري انت امر كلوديت لتعيدها الى زوجها •

وعادت السيدة سرسق بالكومندان الى قاعة الاستقبال ، حيث كانت كلوديت لا تزال جالسة تتحسر وتفكر •

انها لتفكر بحبيبها الخائن ، الذي باعها بالثمن البخس الرخيص ، وانصرف عنها الى اللادي كوينز •

وودع الكومندان بوكار السيدة سرسق ، وزوجة المستشار ليعود الى المستشار رودان الذي كان ينتظره على أحر من الجمر ••

وبادره المستشار بقوله : ماذا أيها الصديق العزيز ؟

هل وفقت في المهمة ؟ هل وافقت كلوديت على العودة الى الدار ؟

واجاب الكومندان بوكار : ارجو ان اوفق يا صديقي ••

قال الفونس رودان : معنى ذلك انك اخفقت في اقناعها •

قال الضابط الفرنسي : هي لا تزال غضبى • جريمتك ليست بالجريمة الصغيرة التافهة • انها ، كما يلوح لي ، جريمة كبرى ، الا انني ارجو ان اوفق في اقناعها بالعودة اليك خلال ايام قليلة •

وشعر المستشار رودان بألم عميق سحيق •

شعر بدوار ••

باضطراب ، بقلق •• والكومندان بوكار يعلن له اخفاقه في المهمة الموكولة اليه •

فتمتم : يلوح لي ان كلوديت لن تعود الي • لقد خسرت كلوديت يا صديقي •

وبدا المستشار رودان حزينا كئيبا •

بدا كأنه يرزح تحت عبء كبير هادم •

فالمصيبة النازلة به دهياء •

زوجته هجرته •

وعشيقته الفرنسية الحسناء تخلت عنه •

والفضيحة تنتظره .

من المؤكد ان الجميع سيعلمون ان زوجته هجرته .

وسيعلمون السبب ايضا .

وستنتصب الفضيحة أمامه لتهدم مقامه الرفيع ، وتهدده بكارثة قاصمة رهيبة .

وراح الكومندان بوكار يواسيه، ويعلله بعودة زوجته اليه .

قال : اطمئن يا صديقي . انا اكفل لك عودة السيدة كلوديت . سأعود اليها غدا ، وارجو ان اوفق في اقناعها بالعودة الى دارك .

وانصرف الكومندان بوكار ، مودعا صديقه الحميم، معللا اياه بالآمال الوارفة الباسمة الخضراء .

الفصل الرابع

انصرف الكومندان بوكار من دار صديقه المستشار ليسرع الى رئيس مكتب الاستخبارات في الجيش الفرنسي «المكتب الثاني» .

وكان المكتب الثاني في بدء تأليفه .

لم يكن قد بدأ اعماله الفعلية .

بل كان ما زال ينظم دوائره ويختار رجاله .

وفي الوقت نفسه ، كان اركان ذلك المكتب يراقبون الزعماء والسياسيين في لبنان ، محاولين كشف بعض مناورات البريطانيين في البلاد .

وهي مناورات تهدف الى اقامة المتاعب والمشاكل امام الفرنسيين ، في محاولة لاقصائهم عن لبنان وسوريا .

ورحب الضابط ، رئيس المكتب الثاني ، بزميله الكومندان بوكار ، شديد الترحيب .

وخلا الكومندان الفرنسي بزميله ليسأله : ماذا

لديكم من معلومات حول اللادي كوينز ؟
ودهش رئيس المكتب الثاني للسؤال .
وسأله بدوره : أتكون مهتما بأمرها يا صديقي ؟
قال : لا .. الا انني اود ان اعلم ماذا لديكم عنها من معلومات ؟
فنفث رئيس الاستخبارات دخان لفافته في الفضاء .
وهمس : اننا نراقبها .
قال الضابط بوكار : هل استطعتم ان تكتشفوا شيئا من اسرارها ؟
قال : اجل .
فدهش الكومندان بوكار .
وهمس : هل لي ان اطلع على معلوماتكم حولها ؟
فاستوى رئيس الاستخبارات في مقعده ليقول : اسمع يا صديقي . ان اللادي كوينز ما جاءت الى لبنان الا لمآرب سياسية . ونحن نبث حولها العيون .
الا اننا لم نستطع حتى الان ان نثبت ما يدينها .
كل ما لدينا هو انها بريطانية ، وانها غنية جدا ، وانها على اتصال ببعض ضباط الجيش البريطاني . لقد كلفت رجالي بمراقبتها ، وهم يحملون الي اخبارها ، من حين الى اخر .
قال الكومندان بوكار : لدي معلومات تفيد ان

اللادي كوينز على اتصال وثيق ببعض رجال السياسة في لبنان ، واخشى ان تكون جاسوسة بريطانية . لذلك ، فانني اهيب بكم الى مراقبتها مراقبة شديدة ، وانا على استعداد لمساعدتكم وتوجيهكم .
فتساءل رئيس المكتب الثاني باهتمام : كيف ؟.
قال الكومندان بوكار : سأعود اليك غدا لاطلعك على بعض الاسرار الهامة ، كما ارجو ان تطلعني انت غدا على ما لديك من معلومات حول هذه السيدة البريطانية الحسناء .
وودع الكومندان بوكار صديقه .
وانصرف ، تاركا رئيس المكتب الثاني عرضة للتفكير والتساؤل : ترى من هي هذه الحسناء التي تثير اهتمام الضابط الفرنسي الرفيع المقام ؟
ولماذا يسأل عنها ؟
وما هي تلك الاسرار التي وقف عليها الكومندان بوكار ؟
ولم يستطع رئيس المكتب الثاني ان يجيب على سؤال واحد من هذه الاسئلة ، فدعا اليه مساعده الملازم موريس بوجير ليسأله : ماذا لدينا من معلومات عن اللادي كوينز يا موريس ؟
وأسرع المساعد بوجير الى الملفات يبحث فيها عن

ملف اللادي كوينز .

وحمل الملف الى سيده .

وجلسا يطالعانه ..

ولم يكن ثمة في ذلك الملف ما يشير الى اهمية اللادي كوينز ..

كان في ذلك الملف تقارير ، قدمها بعض رجال المكتب الثاني ، تشير الى وصول سيدة بريطانية جميلة الى لبنان..

وتقول تلك التقارير ان السيدة الجميلة تلك ، تدعى اللادي كوينز .

وانها غنية جدا ..

وانها حلت في قصر فخم في ضواحي بيروت ..

وانها تقيم المآدب لرجال المجتمع ، ولرجال الحكم من فرنسيين ولبنانيين .

ومثل هذه المعلومات موجودة في ملف معظم الاجانب الذين يقيمون في لبنان .

اما قضية نوايا ومآرب اللادي السياسية ، التي اشار اليها رئيس المكتب الثاني في حديثه مع الكومندان بوكار ، فلم يكن لها اثر في ذلك الملف .

ويبدو ان رئيس المكتب الثاني اراد ان يوهم الكومندان بوكار انه مطلع على جميع الخفايا والاسرار .

ودعا رئيس المكتب الثاني الفرنسي ثلاثة من رجاله،

وطلب اليهم مراقبة اللادي كوينز ، والوقوف على ما يدور في قصرها من خفايا .

وانطلق هؤلاء الثلاثة يجمعون المعلومات ، ويراقبون اللادي كوينز ..

الا انهم لم يستطيعوا ان يقفوا على اسرار وخفايا .

لم تكن تصرفات اللادي كوينز لتثير الشبهة والفضول .

فهي لا تخرج من قصرها الا لزيارة صديق ، او صديقة .

ولا يزورها احد الا بعض وجهاء البلاد وأسيادها .

واحتار رئيس الاستخبارات في امره .

واقام يرقب عودة الكومندان بوكار اليه .

الا ان الكومندان بوكار لم يعد .

فخيل للرئيس ان قصة اللادي كوينز انتهت عند هذا الحد .

ولكنه فوجيء ، بعد ايام قليلة ، بالحاكم ترابو يدعوه اليه على جناح السرعة .

وشخص رئيس المكتب الثاني الى قصر الحاكم ترابو، ليجد الكومندان بوكار بانتظاره هناك .

وعقد الثلاثة ، الحاكم ترابو ، والكومندان بوكار ، ورئيس المكتب الثاني ، اجتماعا سريا ، بحثوا فيه قضية

تلك البريطانية الثرية الحسناء •

وكان الكومندان بوكار قد اطلع صديقه الحاكم الكومندان ترابو ، على كل ما وقف عليه من السيدة سرسق •

كما اطلعه ايضا على خلاف المستشار رودان وزوجته كلوديت •

وقال له : ان كلوديت تقيم في دار مجاورة لقصر اللادي كوينز ، وان باستطاعتها مراقبة اللادي كوينز من دارها ، والوقوف على الاسرار التي لم يستطع رجال المكتب الثاني الوقوف عليها •

وأطلع الكومندان بوكار الحاكم ترابو على المساعي الحميدة التي يبذلها لاعادة كلوديت الى دارها الزوجية •

وطلب الحاكم ترابو من رئيس المكتب الثاني اطلاعه على ما لديه من معلومات حول اللادي كوينز •

قال : اريد ان اقف على كل شيء ، لان اللادي كوينز ـ كما يلوح لنا ـ تشكل خطرا علينا، وعلى مصالحنا في لبنان •

وقال رئيس المكتب الثاني : انت تعلم ، يا سيدي الحاكم ، ان المكتب الثاني لم يباشر اعماله بصورة جدية، واننا ما زلنا في طور التحضير والتنظيم ، وبالرغم من ذلك، فان لهذه السيدة البريطانية ملفا لدينا ، الا ان كل ما في

هذا الملف ، من تقارير ومعلومات ، يناقض المعلومات التي وصلت اليكم • ليس ثمة في ملف اللادي كوينز ما يشير الى انها ذات اهمية وخطورة ، فهي لا تقوم بأي نشاط سياسي ، فلا تزور ولا تزار ، اللهم الا بعض الزيارات الخاصة التي تقوم بها لبعض اصدقائها وصديقاتها •

قال الكومندان بوكار : انا سأساعدكم ، وسأحمل اليكم بعض اخبار هذه السيدة الاجنبية ، وكل ما اطلب منكم هو مواصلة البحث والمراقبة والتحقيق •

ولاح من رئيس مكتب الاستخبارات انه على حيرة وتردد •

وادرك الحاكم ترابو ، بثاقب بصيرته ، حيرة الرئيس وتردده ، فالمكتب الثاني مرتبط بقيادة الجيش العليا •

وليس للحاكم ان يوجه اليه الاوامر مباشرة ، دون العودة الى القائد الاعلى •

ورأى الحاكم ترابو ان يبدد حيرة رئيس المكتب الثاني•

قال : انني اطلب منك مراقبة اللادي كوينز ، وتقصي اخبارها ، بصفتي كومندانا في الجيش ، لا بصفتي حاكم لبنان • وانا سأتصل بسعادة الجنرال غورو واطلعه على الامر • اذا شئت ، تستطيع ان تتصل بالجنرال وتتلقى منه الأمر مباشرة •

قال رئيس الاستخبارات : لا يا سيدي • لن اتصل

بالجنرال • يكفيني ان اتلقى من سعادتكم امرا خطيا •

واصدر الكومندان ترابو الأمر الخطي بمراقبة اللادي كوينز ، وبتقصي اخبارها ••

وتم الاتفاق بين الثلاثة ، على ان يتولى رجال المكتب الثاني مراقبة اللادي كوينز واحصاء خطواتها •

وان تستمر كلوديت رودان في مراقبتها من دارها العامرة •

وقال الحاكم ترابو للكومندان بوكار : دعك الان من مفاوضات الصلح بين المستشار وزوجته • مصلحة فرنسا تقضي ببقاء كلوديت في جوار اللادي كوينز • لا بأس فلينتظر المستشار رودان شهرا ، او شهرين ، او ثلاثة اشهر ، ريثما تنهي زوجته مهمتها ، وتعود اليه بالسلامة •

وحمل رئيس المكتب الثاني الأمر الخطي بمراقبة اللادي كوينز •

وانصرف ليطلق رجاله في اثر السيدة البريطانية الحسناء •

واتصل حاكم لبنان ، الكومندان ترابو ، بالجنرال غورو واطلعه على كل شيء ••

على كل ما وصل اليه من معلومات حول اللادي كوينز ••

وقال الجنرال غورو : سنتصل ببعثتنا الدبلوماسية في لندن ، ونطلب اليها تزويدنا بمعلومات وافية عن هذه السيدة البريطانية •

وهكذا احيطت اللادي كوينز بمراقبة شديدة •

كانت ثمة نوايا ومآرب عديدة تتضافر لكشف اسرار تلك السيدة الثرية الحسناء ، والقضاء عليها •

فهناك السيدة سرسق ، تريد القضاء على تلك السيدة ، لان القضاء عليها يعني القضاء على نفوذها في لبنان ، والمحافظة على نفوذها هي •••

وكلوديت رودان تريد القضاء عليها ، لتنتقم منها لقلبها الصريع ، وتستعيد حبيبها نهاد العاطي الممعن في النوى والبعاد ••

ورجال الحكم الفرنسيون يتربصون لها ، ويقتفون خطواتها لمعرفة حقيقتها ، حتى اذا ثبت لهم تجسسها ، او مؤامرتها ، عمدوا الى القضاء عليها قضاء مبرما •

والحقيقة ، هي ان الفضل في اكتشاف اسرار اللادي كوينز ، كان يعود الى غيرة كلوديت رودان ، والى رغبتها في الانتقام منها •

ولو لم تعمد اللادي الى الاستيلاء على قلب نهاد العاطي ، لظلت في مأمن من كل خطر وشر •

•••

عاد الكومندان بوكار الى كلوديت روادن : بعد ايام قليلة من هذه الحوادث •

فاستقبلته كلوديت بفتور ، وقد خيل اليها انه ما عاد اليها الا ليستأنف مفاوضات الصلح بينها وبين زوجها•

لقد خيل اليها ان الكومندان بوكار عاد اليها ليقنعها بالعودة الى زوجها المستشار •

ولكنها دهشت ، وهي تسمع الكومندان الوسيم يقول لها : اسمعي يا كلوديت ، انت فرنسية تحبين فرنسا، وتريدين ان تؤدي لها اية خدمة • أليس كذلك ؟

قالت : دون شك ايها الصديق العزيز •

قال : لن اطلب اليك العودة الى دار الزوجية الآن •

فلمعت الدهشة في عينيها ، وهي تسمع ما يقول الكومندان •

وتابع الضابط الفرنسي كلامه ، قال : مصلحة فرنسا تتطلب بقاءك هنا في هذه الدار ، بجوار اللادي كوينز •

فبدأ السر ينكشف امام كلوديت •

من المؤكد ان السيدة سرسق اطلعته على الخطة المرسومة ، وأخبرته انها ما حلت في تلك الدار الا لتراقب قصر اللادي كوينز ••

وخشيت كلوديت روادن ان تكون السيدة سرسق قد اطلعت الكومندان على علاقتها بسكرتير زوجها نهاد

العاطي •

الا ان خشيتها توارت •

وقد تأكدت ، من حديث الكومندان ، انه غير مطلع على ذلك السر •

وتابع الكومندان بوكار حديثه قال : نريد منك ان تراقبي قصر اللادي كوينز ، وان تطلعينا على كل ما تقفين عليه • نريد ان نعلم من يزورها ؟ من هم اصدقاؤها الأوفياء ؟ واذا استطعت ان تقفي على ما يجري داخل هذا القصر ، تكوني قد اديت لفرنسا خدمة لا تنسى •

قالت ، وهي ترمق الكومندان الوسيم بنظرات عميقة : روحي فدى فرنسا •

قال : سأعود اليك غدا ، وأرجو ان يكون لديك من المعلومات ما ينير امامنا السبيل الى اكتشاف اسرار هذه البريطانية الغامضة •

قالت : وأرجو ، ان اكون عند حسن الظن •

وانصرف الكومندان •

وجلست كلوديت تفكر :

ماذا عليها ان تفعل الآن ؟

هل تطلع الكومندان ، غدا ، على علاقة اللادي كوينز بحبيبها نهاد العاطي ؟

هل تشي بنهاد ؟

وأجابت نفسها : أجل • سأشي به• انه لخائن مجرم• تخلى عني ، فيما انا بأقصى حاجة اليه • من اجله هجرت زوجي ، وهدمت سعادتي ، وهو لا يستحق مني ايـــة تضحية ، ولا اي اهتمام • سأطلع الكومندان بوكار على كل شيء ، فأخدم بلادي ، وأنتقم لقلبي الصريع من نهاد العاطي ، ومن هذه البريطانية اللعوب •

ومضت كلوديت رودان في تفكيرها ، وهي مستلقية على المقعد الرجراج الوثير تدخن بقلق وحيرة وارتباك •

وكانت مضطربة: الوشاية بنهاد العاطي تعني الانفصال عنه انفصالا ابديا • فهل «تكسر الجرة» وعلي وعلـــى اعدائي يا رب ؟

لا • لا ••

هي لا تستطيع ان تتخلى عن نهاد ، عن هذا الحبيب القاسي المعن في النوى والبعاد •

لن تشي به ••• لن تفضح سره ••

ستكتفي بان تشي باللادي كوينز •

لن تذكر اسم نهاد العاطي امام الكومندان بوكار •

لن تشي بنهاد •

لن تشي به •

وانقضت الساعات ، وزوجة المستشار مستلقية على مقعدها تفكر ، وتدخن ، دون ان تستطيع الوصول الـــى

قرار حاسم صريح •

ورأت اخيرا ان تستعين بصديقتها الوفية السيـــدة سرسق ، على اتخاذ القرار الحازم •

فأسرعت الى السيدة سرسق لتطلعها على ما كان من الكومندان بوكار •

قالت : لقد عاد الي اليوم طالبا مني ان اراقب قصر اللادي كوينز ، وهو سيعود غدا ، فماذا ترينني فاعلة يا صديقتي العزيزة ؟ هل اطلعه على كل شيء ؟

وابتسمت السيدة سرسق، وهي تسمع كلام صديقتها كلوديت •

يبدو ان الخطة المرسومة سائرة في طريق النجاح •

قالت : وتسألينني ؟ ان الفرصة تسنـــح لك الان للانتقام من الحبيب الغادر الخائن ، وعليك ان تغتنمـــي الفرصة السانحة • غدا ، عندما يعود الكومندان بوكـــار اليك ، اخبريه كل شيء ، قولي له ان نهاداً العاطي يتردد على قصر اللادي كوينز باستمرار ، وكأنه سيد القصـــر العالي المنيف •

قالت : ولكنني سأخسر نهاداً الى الأبد ، ان انـــا وشيت به •

قالت السيدة سرسق : مسكينة انت يا كلوديت • هل يخيل اليك انك لم تخسري هذا الشاب اللبناني حتى الان؟

هل تعتقدين ان نهادا سيعود اليك ، بعد ان اصبح عشيق اللادي كوينز ، وسيد قلبها وقصرها ؟

نهاد العاطي طار من القفص يا صديقتي .

هو لن يعود اليك .

ولن يستطيع ان يتحرر من هوى الفاتنة البريطانية الحسناء .

فأدمعت عينا زوجة المستشار وهي تسمع ما تقول السيدة سرسق .

يبدو ان ما تقوله هذه السيدة الحكيمة حقيقة لا مجال لنقضها .

لقد خسرت نهاداً ولم يبق لها سوى الذكريات الحالمة ، والماضي البعيد .

وعادت السيدة سرسق الى الكلام ، بعد صمت قصير ، لتقول مؤكدة : ان نهاداً العاطي غارق الان في حب اللادي كوينز حتى اذنيه .

انت نفسك شاهدته مرارا عديدة يدخل الى قصرها مع الغروب ، ولا يخرج الا مع مطلع الفجر البعيد .

ماذا يفعل في قصرها ؟

هل يصلي ؟

ثم هو لم يسأل عنك .

ولم يحاول الاتصال بك .

ولا حاول معرفة مصيرك ، بعد انفصالك عن زوجك .

ألم يعلم نهاد انك ما ابتعدت عن زوجك الا من اجله ؟

أهكذا يكون الحب والاخلاص والهوى والوفاء ؟

فآمنت زوجة المستشار بكل ما تقول السيدة سرسق .

هي على حق ...

كل ما نطقت به صواب في صواب .

نهاد العاطي خائن غادر شرير .

فلتنتقم منه لقلبها الهائم الموجع الولوع .

وعزمت على الانتقام .

وودعت السيدة سرسق .

وعادت الى دارها ، لتجلس الى النافذة المطلة على قصر اللادي كوينز ، فتشعل لفافة وتراقب ذلك القصر الشاهق المنيف .

لقد دعاها الكومندان بوكار لمراقبة ذلك القصر .

وهي ستقوم بالمهمة الملقاة على عاتقها خير قيام ..

واذا بنهاد العاطي يلوح لها من بعيد ، مقبلا الى قصر البريطانية الحسناء .

فشعرت برعشة تسري في دمها .

وأحست بنار الحقد والغيرة والضغينة تلهب قلبها ،

وتزيدها رغبة في الانتقام من الخائن الجموح •

ودخل نهاد العاطي الى قصر اللادي كوينز •

فودت كلوديت رودان لو انها تستطيع الدخول الى ذلك القصر في اثره لتحطم رأسه ، ورأس تلك المـرأة البريطانية •

ودّت لو انها تستطيع ان تغمد خنجرا في صدره ، وخنجرا في صدرها ، وتتخلص منهما •

لقد طعنها نهاد العاطي من قلبها في الصميم وعليها ان ترد له الطعنة •

عليها ان تنتقم منه •

ستنتقم ، وسيكون انتقامها رهيبا •

هي ستشتفي به •

واذا لم تنلها الوشاية مأربها ، وتشفي غليلها ، فمـا عليها الا ان تعتمد على نفسها في الانتقام من هذا الوغد •

واقامت كلوديت ترقب خروج حبيبها الخائن من ذلك القصر ، والغيرة تعصف بها وتحرق فؤادها •

وطال انتظارها •••

طال حتى الثانية بعد منتصف الليل ، وهي جالسة الى النافذة تحرق لفافات التبغ، وتحرق معها عواطفها وشعورها وهواها الصريع •

ومع دقتي الساعة الاثنتين ، خرج نهاد العاطي مـن

قصر اللادي كوينز •

وسار يتهادى •

فراحت كلوديت تراقبه من نافذتها ، حتى توارى عن بصرها •

فهمست : خائن ، مجرم ، فاسق ، شرير •

ونهضت ، لتدخل الى غرفتها ، فتنزع عنها ثيابها ، وترتدي ثياب النوم ، وتندس في سريرها ، محاولـة الرقـاد •

الا انها لم تستطع الى الرقاد سبيلا •

كانت تتقلب في فراشها الوثير ، وكأنها تتقلب على ابر وشوك •

ولم تستطع ان تذوق طعم النوم ، الا والفجر ينسج خيوطه الوردية ، ويتسلل الى غرفتها عبر زجاج النافـذة الشفاف •

وغفت •••

واستفاقت على ذعر •

غفت لتشاهد حبيبها الخائن ، في الحلم ، منتضيـا خنجرا مصقولا ، يحاول ان يغمده في صدرها •

واستوت في سريرها لترمق الساعة المشدودة الى معصمها بنظرة سريعة •

فاذا بالساعة تشير الى الثامنة من الصباح •

وثبت من السرير ، لترتدي ثيابها ، وتتناول قهوة الصباح ، وتدخن ..

منذ صباح امس لم تذق طعاما .

القهوة ، ولفافات التبغ وحدها ، غذاؤها .

وبالرغم من ذلك فلم تشعر بالجوع ، ولم تجد الرغبة في تناول الطعام .

واقامت ترقب زيارة الكومندان بوكار .

لقد وعدها الكومندان بالعودة اليها .

وهو سيعود حتما .

فلتنتظر عودته ، لتبوح له بكل ما رأت وشاهدت ، في قصر تلك المرأة البريطانية الجميلة .

وطال انتظارها حتى الساعة الثانية بعد الظهر .

وفي الساعة الثانية ، أطل الكومندان بوكار ، والبسمة تشع على شفتيه .

فاستقبلته بالترحيب الشديد ..

وجلس الكومندان بوكار .

وجلست قربه .

وسألها : ماذا لديك من اخبار جارتك ، ايتها السيدة كلوديت ؟

فأجابت : لدي ما يسر خاطرك ، ايها الكومندان العزيز .

قال الضابط الفرنسي : اني لم اكن اشك في مقدرتك على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقك خير قيام .

اخبريني . ماذا لديك ؟

فقدمت له لفافة فاخرة .

وأشعلت هي لفافة ، نفثت دخانها في الفضاء ، لتقول:

اسمع ايها الصديق العزيز . اللادي كوينز تقوم بنشاط سياسي كبير ، جميع زائريها من رجال السياسة ، ومن كبار الموظفين .

فتساءل باهتمام : كبار الموظفين ؟ مثل من ؟

قالت : نهاد العاطي .

فعاد الى التساؤل : نهاد العاطي ؟ سكرتير المستشار رودان ؟

قالت : أجل . انه ليزورها كل يوم ، ويقضي لديها الساعات الطوال . ليلة امس مثلا ، جاء الى قصرها مع الغروب ، ولم يخرج ، الا والفجر يكحل مقلة الليل بألوانه الزاهية الزاهرة .

فنفث الكومندان بوكار دخان لفافته في الفضاء .

وراح يفكر ، دون ان ينبس بحرف .

الخبر الذي نقلته اليه كلوديت أثار اهتمامه ، وأهاب به الى التفكير :

لماذا يزور السكرتير نهاد العاطي هذه البريطانية

الفاتنة ؟

هل ينقل اليها أسرار الدولة ؟

ام ترى الأمر لا يتعدى المغامرة العاطفية ؟

هل ثمة قصة حب وغرام بين هذه البريطانية والسكرتير الوسيم ؟

وطال تفكيره •

وكانت كلوديت تراقبه باهتمام •

فلمست مدى اهتمامه بالخبر الذي نقلته اليه •

وارتاحت لهذا الاهتمام كل الارتياح •

يبدو ان زيارة نهاد للادي كوينز لم ترق للضابط الوسيم •

من المؤكد ان الكومندان بوكار سيعمد الى ابعاد نهاد عن اللادي كوينز •

واستأنفت كلوديت الكلام، بعد صمت قصير لتقول: يلوح لي أن نهاداً العاطي، الموظف في دار الانتداب، يعمل لمصلحة البريطانيين، وإلا فما معنى زياراته المتواصلة الطويلة لهذه البريطانية الحسناء، التي تحوم حولها الشبهات، ويرتسم فوق قصرها ألف ألف سؤال؟

قال الكومندان : هذا ما يلوح لي انا ايضا يا كلوديت • ان الاستخبارات الفرنسية ستقوم بواجبها وستكشف كل ما هناك من أحاج وأسرار• قولي لي الآن:

من يزورها غير نهاد العاطي من الموظفين ؟

قالت : انا لم اشاهد من الموظفين الا نهاد العاطي ، ولكن شاهدت كثيرا من رجال السياسة يدخلون الى هذا القصر •

قال : هل تستطيعين ان تذكري لي اسماءهم ؟

وذكرت له اسماءهم •

وكان بينهم رجال سياسة وزعماء ، ورجال دين •

فراح الكومندان بوكار يدوّن تلك الاسماء في مفكرته ••

والتفت الى كلوديت ، بعد ان انهى تدوين الاسماء، ليقول : يلوح لي انك قدمت لبلادك خدمة جلى يا كلوديت •

ارجوك ان تستمري في المراقبة •

وساعود اليك غدا ، لأقف منك على اسماء جميع زائري اللادي كوينز •

ونهض مودعا ، وصافحها •

فشدت يده يدها على عطف وحنان •

وشعرت زوجة المستشار برعشة غريبة تسري في عروقها ، ويد هذا الضابط الشاب الوسيم تشد يدها •

وهمس الكومندان بوكار : الى اللقاء غدا ، ايتها الصديقة المخلصة الوفية •

فهمست : الى اللقاء يا صديقي العزيز .

وسار الكومندان بوكار .

فوقفت تشيعه بنظراتها الحالمة ، حتى توارى عن عينيها .

وألقت كلوديت بجسدها على المقعد الرجراج الوثير، بعد ان توارى الكومندان بوكار .

ونفثت دخان لفافتها في الفضاء ، والابتسامة تشع على شفتيها .

لقد شعرت زوجة المستشار بارتياح ، لم تشعر به ، منذ ان هجرها حبيبها الخائن .

شعرت كأن حملا ثقيلا سقط عن ظهرها ، بعد ان وشت بنهاد العاطي .

شعرت بأن بعض كرامتها الصريع عاد اليها .

فهمست في سرها : ستكون وقعة نهاد العاطي قاتمة السواد .

هذا جزاء من يحطم قلبي ، ويعبث بعواطفي ، ويثلم كرامتي .

الويل ، كل الويل ، لك يا نهاد العاطي من انتقام كلوديت رودان .

الفصل الخامس

شخص الكومندان بوكار الى رئيس المكتب الثاني في الجيش الفرنسي ، ليطلعه على ما حملته اليه كلوديت رودان .

وجلس الضابطان يتحدثان ويتشاوران .

وقال الكومندان بوكار : أرى ان نفرض مراقبة شديدة على السكرتير نهاد العاطي .

يبدو ان هناك اسرارا خفية تجري من وراء ظهرنا ، وان اللادي كوينز استطاعت ان توطد علاقتها ببعض موظفي ادارتنا . علينا ان نكتشف هذه الاسرار .

وان نعلم ما هي علاقة نهاد العاطي باللادي كوينز .

قال رئيس المكتب الثاني :

يخيل الي ان هذه العلاقة لا تتعدى العلاقات العاطفية .

يبدو ان السكرتير اللبناني الشاب واقع في هوى

هذه البريطانية الحسناء .

وليس من المعقول ان يقدم موظف كبير ، مثل نهاد العاطي ، على خيانة فرنسا ، وعلى المجازفة بمنصبه الرفيع، من اجل سواد عيني امرأة بريطانية جميلة .

قال الكومندان بوكار :

اما انا ، فأرى غير ما ترى يا صديقي .

قد يجازف موظف كبير بمنصبه من اجل مآرب سياسية بعيدة .

من يدري ماذا جرى .

او ماذا يجري بين اللادي كوينز وبين نهاد العاطي ؟

قال رئيس المكتب الثاني :

علينا ان نكتشف اولا اسرار اللادي كوينز .

علينا ان نعلم من هي ؟

ولماذا جاءت الى لبنان ؟

وما هي اهدافها ، ومآربها ونواياها .

وبعد ان نقف على هذه الاسرار ، يهون علينا اكتشاف كل ما يدور من خفايا واسرار اخرى .

اللادي كوينز الركن الذي يجب هدمه ، وعندما يهدم الركن ، ينهار البناء .

قال الكومندان بوكار :

حتى الان لم يستطع موظفوك ومراقبوك اكتشاف ما

يجري داخل قصر اللادي كوينز .

كل ما علمناه هو ان اللادي كوينز تستقبل في قصرها الفخم الأنيق كبار رجال السياسة من لبنانيين وفرنسيين .

وهذا لا يعني شيئا بالنسبة لنا .

أمامنا الان نافذة نستطيع ان نطل منها على بعض الاسرار .

هذه النافذة هي نهاد العاطي .

اذا استطعنا ان نعلم ما هي علاقة نهاد العاطي باللادي كوينز ، استطعنا ان نعلم حقيقة هذه المرأة البريطانية الغامضة .

قال رئيس المكتب الثاني :

اكتشاف سر هذه العلاقة ، امر سهل ميسور .

سأفرض مراقبة شديدة على ابن العاطي .

قال الكومندان بوكار :

وهذا ما اطلب منك الان .

ارجو ان تكلف بعض كبار رجالك الأوفياء بمراقبة السكرتير نهاد العاطي مراقبة شديدة .

قال رئيس الاستخبارات الفرنسية :

سأكلف امين سري الخاص ، ونائبي الضابط موريس بوجير ، بمراقبة السكرتير اللبناني الوسيم .

قال الرئيس هذا ، ودعا اليه الضابط موريس بوجير، ليقول له على مسمع من الكومندان بوكار: موريس ! اريد منك ان تفرض مراقبة شديدة على نهاد العاطي .

فوجم موريس بوجير ، وهو يسمع باسم نهـــاد العاطـــي .

وقال باستفهام ، وتساؤل :

نهاد العاطي ؟ سكرتير المستشار رودان ؟

قال الرئيس : اجل . هو نفسه .

وصمت موريس بوجير برهة ، ليعود الــى الكلام ، قائـــلا :

أيكون نهاد العاطي موضع شبهة يا سيدي ؟

فتولى الكومندان بوكار الكلام موضحا ، قال :

اسمع يا موريس ، كل منا قد يكون موضع شبهة.

ليس في الامر ما يثير الدهشة والاستغراب .

ان نهاد العاطي يتردد باستمــــرار على قصر اللادي كوينز .

ونحن نريد ان نعلم ما هي العلاقة التي تربط بـين سكرتير المستشار الفونس رودان وبـين هذه السيــدة البريطانية الحسناء .

قال موريس :

الأمر سهل ميسور . ان مراقبة نهاد العاطي لا تتطلب

منا اي جهد .

غدا ، ان شاء الله ، سأحمل اليكما أخباره وأسراره.

وبرّ الضابط موريس بوجير بوعده ..

فعاد في اليوم التالي الى رئيسه ليقول له :

لقد اكتشفت سرا غريبا يا سيدي .

فتساءل رئيس الاستخبارات : ما هو هذا السر يـــا موريس ؟

قال : نهاد العاطي يؤلف حزبا سياسيا كبيرا .

فارتسمت الدهشة على وجه الرئيس .

وهمس : أوصد الباب . وتعال اجلس قربي .

وأوصد الضابط الباب .

وجلس قرب رئيسه ، ليطلعه على كل ما وصل اليه من اخبار نهاد العاطي .

قال : لقد اطلقت رجالي ، وبينهم لبنانيون ، في اثـــر نهاد العاطي .

فشاهدوه يشخص امس ، بعد انهاء عملـــه في دار الحكم ، الى قصر اللادي كوينز .

كانت الساعة تشير الى الخامسة في المساء .

لقد اقام في قصر الغادة البريطانية حتى الساعـــة الثامنـــة .

وفي الساعة الثامنة ، غادر القصر ، ليشخص الـــى

ساحة الشهداء ، ويصعد الى بناية شاهقة فخمة حديثة البناء •

وهناك كان زهاء عشرين شابا بانتظاره ••

في تلك البناية جناح استأجره نهاد العاطي ليكون مقرا يلتقي فيه بانصاره •

وقد تحرى رجالي الأمر ، فعلموا ان اولئك الشبان اعضاء في حزب سياسي ، رئيسه نهاد العاطي •

وكان رئيس مكتب الاستخبارات يستمع الى تقرير امين سره باهتمام بالغ شديد •

وعندما انتهى موريس من الادلاء بتلك المعلومات ، راح الرئيس يدخن ، ويفكر باهتمام ، وصمت ••

وطال الصمت بينهما ••

وبعد صمت طويل ، عاد موريس الى الكلام ليقول:

هل نعتقل نهاد العاطي ورجاله ؟

قال الرئيس : لا •• لن نعتقله ، بل نحن سنمضي في مراقبته مراقبة شديدة دقيقة واسعة الاطراف •

وهمّ موريس بالانصراف بعد ان انهى مهمته •

الا ان رئيس المكتب الثاني دعاه الى البقاء •

قال : اجلس •• يجب ان نستشير صديقنا الكومندان بوكار في الامر •

قال الرئيس هذا ، وأمسك بسماعة الهاتف ليتصل

عبر اسلاكه بالكومندان بوكار قائلا :

هل استطيع ان اتشرف بزيارتك يا صديقي ؟

قال الكومندان : غدا ، ساكون عندك في الصباح•

قال الرئيس : لا •• الامر مهم جدا •

ارجو ان تشرفني بزيارتك الان ، ايها الكومندان •

وأدرك الكومندان بوكار ، ان وراء هذا الطلب الملحاح سرا كبيرا •

فأجاب : ساكون عندك بعد قليل •

وبعد دقائق قليلة ، كان الكومندان بوكار في مكتب رئيس المكتب الثاني ••

وتساءل الكومندان بوكار ، وهو يجلس قرب صديقه رئيس الاستخبارات ، وامين سره موريس بوجير :

ماذا هناك ؟

أيكون ثمة امر خطير ، أهاب بك الى دعوتي الان ؟

فابتسم الرئيس الفرنسي •

وهمس : يبدو اننا سنكتشف أسرارا رهيبة يا صديقي •

قال الضابط بوكار : انا لا يهمني ماذا سنكتشف ، يهمني الان ان اعلم ماذا اكتشفتم من اسرار ؟

فالتفت رئيس المكتب الثاني الى امين سره ليقول له:

اخبره يا موريس بكل ما وصلنا اليه من معلومات وخفايا

وأسرار .

وراح موريس بوجير يروي على مسامع الكومندان بوكار ما رواه على مسامع رئيسه .

وأبدى الكومندان بوكار الاهتمـــام الشديد بما يسمع .

وهمس ، وقد وقف على كل تلك المعلومات :

نهاد العاطي مجنون .

انه يلعب بالنار ، والنار ستحرقه وتحرق معه صديقته البريطانية .

حزب سياسي في لبنان ؟

والآن ؟

ودون علمنا ؟

ومن وراء ظهرنا ؟

قال الرئيس :

المهم ان نحبط هذه المؤامــــرة ، قبل استفحالهـــا وانتشارها .

ما هو رأيك ايها الصديق ؟

ماذا علينا ان نفعل الان ؟

هل نطلع الجنرال غورو على ما وصلنا اليه ؟

قال الكومندان : سنطلع سعادته علـى كل شيء ، دون شك .

ولكن علينا الان ان نعلم ما هي اهداف هذا الحزب؟

وماذا يريد نهاد العاطي من وراء تأليف حزب سياسي في لبنان .

قال موريس متحمسا :

ارى ان نعتقل نهاد العاطي .

فارتسمت الابتسامة على ثغر الكومندان بوكار .

وهمس : لا .. لن نعتقله .

سنطلق له العنان ، ونمضي في مراقبته .

قال رئيس المكتب الثاني :

هذا هو رأيي .

ارى ان نمضي في مراقبته حتى النهاية .

قال الكومندان بوكار بعد تفكير قصير :

اسمع يا موريس ، المراقبة من الخارج لا تكفي .

يجب ان تكون المراقبة من الداخل .

فهمس موريس : كيف يا سيدي ؟ لم افهم .

قال الكومندان : يجب ان ينخرط بعض رجالنا في حزب نهاد العاطي .

انا اعلم ان هناك موظفين لبنانيين في المكتب الثاني .

أليس كذلك ؟

قال الرئيس : اجل لدينا عشرة لبنانيين في مكتبنا ، وهم مخلصون في عملهم كل الاخلاص .

قال الكومندان بوكار : يجب ان ينخرط اثنان منهم في حزب السكرتير الوسيم الانيق ، وبذلك نستطيع ان تعلم كل شيء عن اهداف هذا الحزب ، وان تقف على مآرب ابن العاطي .

وأعجب رئيس المكتب الثاني ، كما اعجب مساعده ايضا برأي الكومندان بوكار .

واتفق الثلاثة على ان يدفعوا اثنين من موظفيهم اللبنانيين الى الانخراط في حزب نهاد العاطي ..

وفي اليوم التالي ، كان شابان يشخصان الى مكتب حزب الانطلاق اللبناني ، ليطلبا المثول بين يدي رئيس الحزب الاستاذ نهاد العاطي .

وقال لهم امين سر الحزب السيد وفيق العاطي ، ابن عم نهاد :

ماذا تريدان من نهاد ؟

وتولى احدهما الكلام قال :

لقد سمعنا بحزبكم ، وهو حزب لبناني مناضل ، كما وصل الينا ، فأردنا الانضمام اليكم ، والعمل معكم في سبيل توطيد دعائم هذا الحزب الوطني الكريم .

وارتسمت ابتسامة زاهية على شفتي وفيق العاطي :

الحمد لله ، ثم الحمد لله ، لقد بدأت شهرة الحزب تعم الآفاق .

وها ان شباب لبنان يتدفقون للانضواء تحت لواء حزبهم الميمون ..

وتمتم وفيق : رئيس الحزب لا يستطيع مقابلتكما الا بناء على موعد سابق . اعماله كثيرة ، واشغاله لا تسمح له بمقابلة احد ، الا في موعد محدد . استطيع ان اقوم انا بما تريدان وان ألبي طلبكما .

قال احدهما : كل ما نريد هو ان نكون بين اعضاء حزبكم يا سيدي .

وتولى الثاني التعريف قال : انا سليم عبد الله ، ورفيقي اديب عواد ، ونحن على استعداد للقيام بما تطلب منا .

ودفع وفيق العاطي بأوراق اليهما ، وطلب منهما تسجيل اسميهما ، وعمريهما ، ومهنتيهما ، وميولهما . الى آخر ما هناك ، وهنالك من معلومات ، تطلب من كل عضو في حزب الانطلاق الكريم .

ودوّن اديب وسليم تلك المعلومات ، ودفعا بها الى وفيق العاطي .

فمد وفيق يده اليهما مصافحا وهمس :

سيبحث مجلس الحزب الاعلى في طلبكما وأرجو ان يوافق المجلس على انضمامكما الينا .

عودا الي بعد اسبوع ، فأنقل اليكما قرار مجلس

الحزب الاعلى .

ووداعه ...

وخرجا ليعودا الى رئيسهما موريس بوجير ، مساعد رئيس المكتب الثاني ، ويطلعاه على كل ما كان بينهما وبين امين سر حزب الانطلاق اللبناني .

واطمأن موريس بوجير .

وقد ايقن ان الموظفين سليم عبد الله واديب عواد سينخرطان في حزب نهاد العاطي .

من المؤكد ان «المجلس الاعلى للحزب» سيوافق على انضمامهما .

وما «المجلس الاعلى» الا نهاد العاطي وابن عمه وفيق .

وصح ما توقع مساعد رئيس المكتب الثاني .

فقد عاد الموظفان سليم عبد الله واديب عواد الى وفيق العاطي ، بعد اسبوع متسائلين :

ماذا ايها السيد وفيق ؟

هل وافق المجلس الاعلى على انضمامنا الى «ملكوت» حزب الانطلاق ؟

وابتسم وفيق العاطي .

وهش وبش لهما وهمس : البشرى لكما . فأنتما منذ هذه الساعة عضوان في حزبنا الكريم الشيّم ، العالي

المقام ، ويحق لكما حضور اجتماعات اعضاء الحزب .

وارتاح «العضوان الجديدان» كل الارتياح .

هذا كل ما يرجوانه .

وهذا ما يسر خاطر رئيسهما .

حضور اجتماعات اعضاء الحزب ، سيؤهلهما للاطلاع على جميع اسرار وخفايا حزب نهاد العاطي .

وبدأ سليم عبد الله واديب عواد ممارسة نشاطهما في حزب الانطلاق اللبناني .

وكانا يبديان غيرة ونشاطا ، اين منهما غيرة ونشاط كبار الاعضاء المسؤولين .

وهذا ما قربهما الى رئيس الحزب ، والى ابن عمه امين السر ، وجعلهما في مقام رفيع مرموق بين اعضاء ذلك الحزب الجديد .

وكان سليم واديب ينقلان لرئيسهما الفرنسي كل محاضر اجتماعات الحزب وكل اسراره .

ولم يكن في تلك المحاضر ، ولا في تلك الاسرار ما يسيء الى سلطات الانتداب .

اعضاء حزب الانطلاق لا يبحثون في الامور السياسية العدائية لفرنسا .

واهداف الحزب لا تخرج عن المطالبة بسيادة لبنان، تحت حماية الدولة الفرنسية ، وتعزيز الانتداب .

اذن حزب الانطلاق اللبناني لا يناوىء السلطات الفرنسية ، ولا يعارض الانتداب .

فليستمر نهاد العاطي اذن في نشاطه الحزبي ، ما دام هذا النشاط لا يسيء الى فرنسا في لبنان ..

الا ان سليما وأديبا حملا ، ذات يوم ، محضر جلسة سرية أثار اهتمام موريس بوجير .

وكان محضر تلك الجلسة ينطوي على مناقشة ، دارت بين اعضاء الحزب ، حول ضرورة اعلان لبنان جمهورية ، وتعيين رئيسا لبنانيا للجمهورية الجديدة .

وحمل موريس بوجير ذلك «المحضر» الى رئيسه .

ورئيسه اطلع الكومندان بوكار عليه .

والكومندان بوكار حمله وطار به الى الجنرال غورو ...

وابتسم الجنرال غورو ، وهو يطلع على ذلك السر .

وتمتم : هناك يد خفية تدير هذا الحزب ايها الكومندان .

وما نهاد العاطي سوى آلة متحركة في تلك اليد .

لقد علمت ان حزب الانطلاق ينعم ببحبوحة ويسر ، والاموال متوفرة لديه .

ورئيس الحزب يغدق المال على انصاره وزملائه ومحاسبيه ، وكأنه يريد ان يكون زعيما .

وان يتخذ من زعامته سبيلا للوصول الى رئاسة الجمهورية .

علينا الان ان نبحث عن تلك اليد الخفية التي تدير حزب الانطلاق اللبناني .

يجب ان يستمر رجال المكتب الثاني في مراقبة نهاد العاطي ، وفي العمل للوصول الى أحاجي وخفايا وأسرار حزبه .

قال الكومندان بوكار :

هذا هو الرأي الصائب السديد يا سيدي الجنرال .

علينا ان نكون عيونا مفتوحة ساهرة حول هذا الحزب .

ودعا الجنرال غورو رئيس المكتب الثاني .

وطلب اليه ان يشدد المراقبة على نهاد العاطي .

فهو يريد ان يعلم يد من هي تلك اليد التي تدير حزب الانطلاق اللبناني ، وتغدق على رئيسه الاموال الطائلة المدرار .

لقد شغل نهاد العاطي بحزبه يومذاك رجال الانتداب .

وأثار اهتمام فرنسا بأسرها ، دون ان يعلم .

وفي حين كان سليم عبد الله وأديب عواد ينقلان اسرار حزب الانطلاق الى رئيسهم ، كان رجال المكتب الثاني ينطلقون في اثر نهاد العاطي ، وابن عمه وفيق ، في

حملة مراقبة شديدة محكمة .

وكان ، في الوقت نفسه ، الكومندان بوكار يتردد على دار كلوديت زوجة المستشار رودان ، الزوجة المتمردة العاصية ، ليقف منها على ما يجري في قصر جارتها اللادي كوينز، وعلى العلاقات الطيبة التي تربط بين اللادي كوينز وبين نهاد العاطي ..

وكانت كلوديت تنقل الى صديقها الجديد الكومندان بوكار كل ما ترى وتشاهد من نافذة دارها .

كانت كلوديت تراقب قصر اللادي كوينز مراقبة شديدة .

فلا تفوتها منه شاردة ولا واردة .

فهي ترى من نافذتها كل الذين يدخلون الى ذلك القصر ويخرجون منه .

وكانت كلوديت تشاهد حبيبها الخائن ، نهاد العاطي، يدخل كل مساء الى قصر البريطانية الحسناء .

فتثور الغيرة في قلبها لاهبة قانية الاحمرار .

وتود لو انها تستطيع ان تثب الى ذاك الحبيب الخائن الشرود ، وتنهال عليه بالصفع واللطم والرفس .

ولم يكن ثمة من عزاء لكلوديت رودان الا صديقها الكومندان بوكار ، الذي كان يحيطها بالعطف والحنان..

وبدأت الغيرة تخمد في قلب كلوديت رودان رويدا

رويدا ، وهي تلمس في الكومندان بوكار العطف والشوق والحنين .

بدأت تلك الغيرة تتوارى ، ليحل محلها هوى جديد .

هوى الضابط الفرنسي الشاب الوسيم ..

الا ان الضابط الفرنسي لم يكن ليبوح بما في قلبه لابنة وطنه .

بل كان يكتفي باغداق العطف والحنان عليها .

فهي زوجة صديقه المستشار رودان ، ولا يريد ان يخون ذلك الصديق، القائم من زوجته على هوى واشتياق.

ان الصداقة تفرض على الكومندان ان يواصل مساعيه الحميدة لاعادة كلوديت الى زوجها المستشار .

ان كلوديت تؤدي الآن خدمة لفرنسا .

فهي تراقب قصر اللادي كوينز .

وهذه المهمة تفرض بقاءها بعيدة عن زوجها .

وعندما تنهي هذه المهمة ، سيحملها الكومندان بوكار على العودة الى دار الزوجية .

واقام الضابط الفرنسي يرقب انتهاء مهمة صديقته الفرنسية .

اقام ينتظر اكتشاف سر اللادي كوينز ، وسر علاقتها برئيس حزب الانطلاق .

الا ان انتظاره طال ...

وكان المستشار رودان يتصل به من حين الى اخـر متسـائلا :

ماذا ايها الصديق العزيز ؟

ألم تستطع اقناع كلوديت بالعودة الي ؟

ويعمل الضابط الفرنسي على تهدئة خاطر صديقه ، معللا اياه بعودة الزوجة الحسناء ، المعنة في النـوى والبعاد ، فيقول :

مهلا يا صديقي . ان كلوديت ستعود اليك .

عليك ان تتذرع بالصبر ، والصبر لم يكن يوما الا مفتاح الفرج .

وصبر المستشار على فراق زوجته .

لقد صبر حتى مل الصبر ، وسئم الانتظار .

وبدأ الصبر يجفوه .

وبدأ الأمل بعودة زوجته اليه يخبو .

فحاول العودة الى خليلته الحسناء الراقصة مارغو ، التي كانت السبب في ابتعاد زوجته عنه ..

لا بأس ، لقد خسر كلوديت ، فليربح مارغو على الاقل .

واتصل المستشار رودان بالراقصة الحسناء طالبا اليها ان توافيه الى داره المهجورة .

لقد هجرت كلوديت تلك الدار .

فلتحل مارغو محلها ولتتبوأ عرش قلبه .

الا ان مارغو الحسناء اعتذرت عن موافاته قائلة :

ارجوك ايها السيد رودان ان تبتعد عن طريقي .

انت رجل متزوج ، وزوجتك امرأة غيور ..

انا لم انس بعد ما حصل في داركم في صوفر .

دعني وشأني ، وعد الى زوجتك الحسناء .

قال : زوجتي هجرت الدار .

يبدو لي انها لن تعود .

لم يعد لي سواك يا مارغو .

انت كل ما يملك الفونس رودان .

ستحلين في داري ، كما حللت في قلبي ، على الرحب والسعة .

فهالها ما يقول .

قالت : لا ... لا . ارجوك ان تبتعد عني . انا احب الشاب اللبناني انطوان ، كما تعلم ، وهو لا يقل غيرة عن زوجتك .

لقد خسرت زوجتك ، ولا اريد ان اخسر حبيبي .

وعبثا حاول المستشار رودان استعادة خليلته .

فقد اصرت على الابتعاد عنه الى الأبد .

وضاقت الدنيا على رحبها بالمستشار الفرنسي .

لقد خسر زوجته .

وخسر خليلته .

وأصبح وحيدا في هذه الحياة ..

وانصرف المستشار الى الخمرة ، محاولا ان ينسى فيها مصائبه وهمومه .

الا ان الخمرة لم تكن الا لتزيد في آلامه .

وكلما سكر ، تمثلت له زوجته الحبيبة الهاجرة .

فيعول ، ويعربد ، وينتحب .

ويفيق من سكرته ، ليعود الى احتساء الخمر ، ويعود بالتالي الى الضياع .

وساءت صحة المستشار رودان ، كما ساءت سمعته .

وكان يحضر الى ديوانه في دار الحكم والسكر يتعتعه ، فيهزأ الموظفون به ، ويضحكون منه .

واطلقوا عليه اسم «السكير» .

فكان اذا ما قيل «السكرتير» ، عرف انه المستشار رودان ..

وذات صباح ، فيما المستشار رودان يهم بمغادرة منزله ليشخص الى عمله ، شعر بالوهن .

وحاول المسير فعجز .

واذا به يقع في الارض ، مشلول اليد والرجل ..

وأسرعت الخادمة ليلى اليه محاولة اسعافه .

الا انها عجزت ..

وهمس المستشار رودان في اذن الخادمة : اتصلي بالمستشفى الفرنسي ..

واتصلت الخادمة بالمستشفى الفرنسي ، طالبة ارسال طبيب لاسعاف المستشار رودان .

وجاء الطبيب ليعلن ان حالة المستشار خطرة ، ويأمر بنقله الى المستشفى ..

ونقل المستشار رودان الى المستشفى الفرنسي ، واجريت له الاسعافات اللازمة .

الا ان تلك الاسعافات لم تسعفه ، ولم تكن حاله الا تزداد سوءا ..

وشعر القونس رودان بدنو الأجل .

فدعا اليه صديقه الكومندان بوكار ليقول : انا الان على عتبة الابدية يا صديقي . اريد ان ارى كلوديت قبل ان اموت .

وتألم الكومندان بوكار شديد الألم ، لما وصل اليه صديقه المستشار .

وتمتم : لا يا صديقي . انت لن تموت . ستشفى ، وستعود كلوديت اليك .

قال بعناء وألم : اريد ان أراها . اريد ان أراها .

فتمتم الكومندان : ستراها . سأذهب الان اليها ،

واعود بها اليك .

واسرع الضابط الفرنسي الى زوجة المستشار ليقول: كلوديت . تعالي معي .

فتساءلت : الى اين ؟

قال : الى المستشفى الفرنسي .

فوجمت ..

ثم قالت : لماذا ؟

قال : الفونس في المستشفى . انه علــــى فراش الاحتضار .

وازدادت كلوديت وجوما .

وهمست : ما به ؟

قال : لقد اصيب بالشلل ، والطب نفض يده منه . انه يحتضر . وأمنيته ان يراك قبل ان يموت .

ووثبت كلوديت الى ثيابها ترتديهـــا على عجل ، وتسرع ، مع الكومندان بوكار ، الى المستشفى الفرنسي، آملة ان ترى زوجها ، قبل ان يلفظ أنفاسه الاخيرة .

الا ان املها خاب ...

وعندما وصلت الى المستشفى الفرنسي ، كان زوجها قد اصبح جثة هامدة، لا حراك فيها ، ولا روح .

ووقفت كلوديت امام جثة زوجها على هلع ورهبـــة ووجوم .

وتمثلت لها جريمتها في وجه تلك الجثة الأصفـــر الهزيل .

لقد قتلت زوجها ...

هي القاتلة ...

لو لم تقسُ عليه ، وتبتعد عنه ، لما مات الفونس .

والقت كلوديت بجسدها المضطرب الواهي علـــى مقعد رجراج .

وأخفت وجهها براحتيها ، لئلا ترى وجه ذلك الميت الناظر الى ما وراء الابدية .

هذا الوجه يرعبها .

هاتان الشفتان المطبقتان ، الصامتتان ، البارزتان ، تصرخان بها : يا قاتلة .. يا مجرمة ..

وتقدم الكومندان بوكار منها يمسك بمعصمهـــا هامسا في اذنها : تعالي يا كلوديت .. تعالــــي معي .. تشجعي . فلنكن دائما اكبر من مصائبنا .

وهمست كلوديت ، وهي تبتعد عن جثـــة زوجها : مسكين ! كم تعذب وكم تألم بسببي !

واقيم للمستشار رودان مأتم حافل .

ووقفت زوجته تتقبل التعازي .

واذا بالحبيب الخائن نهاد العاطي يلوح لعينيها بـين المعزيـــن .

وعندما تقدم نهاد منها ليعزيها ، أشاحت بوجهها عنه.
هذا هو شريكها في الجريمة .
انه لمجرم سفاح .
يده مثل يدها ، ملطخة بالدم ..
وللمرة الاولى تشعر بأنها بعيدة كل البعد عن هذا الشاب الوسيم .
لقد شعرت كلوديت بأنها غريبة عن نهاد .
اين هي تلك العاطفة الجامحة الهوجاء التي كانت تشتعل في قلبها ؟
اين توارى ذلك الحب البعيد المدى العميق القرار ؟
ليست تدري . ليست تدري ..
أهذا هو الحب الذي يتغنى به البشر ؟
أهذه هي العاطفة التي يقدسها الإنسان؟
أهكذا تخمد تلك الجذوة المشتعلة ؟
من يشعل تلك النار في القلب ؟
ومن يخمدها ؟
ما هو الحب ؟
انه لسر من اسرار الحياة الغامضة الهائلة الرهيبة ، التي يتخبط الانسان في دياجيرها منذ ان جاء الى هذه الارض .
ورأت كلوديت ان تعود الى دار الزوجية ، بعد ان

توارى زوجها عن تلك الدار .
لماذا تظل في جوار اللادي كوينز ، بعد ان نأى قلبها عن نهاد العاطي ؟
هي ما حلت في جوار الغادة البريطانية الحسناء الا لتراقب نهادا ، وتعمل على الثأر منه .
اما الان فلم يعد امر نهاد العاطي يهمها ، ولم تعد تشتاق الانتقام منه .
ما لها وله ، فليفعل ما يطيب له .
وعرضت فكرة العودة الى دارها على صديقها الحميم الكومندان بوكار .
فقال : مهلا يا كلوديت ، ستعودين الى دارك بعد انتهاء مهمتك ، علينا ان نستمر في مراقبة قصر اللادي كوينز الان .
ولم تكن كلوديت لتخالف للضابط الفرنسي امرا .
فهو القريب القريب الى قلبها .
قالت : ليكن ما تريد يا صديقي . ولكن هل ستطول بي الاقامة في جوار اللادي كوينز ؟
قال : لست ادري . الا انني آمل الا تطول اقامتك بجوارها .
ولم تطل اقامة كلوديت روذان بجوار اللادي كوينز.
لقد انتهت مهمتها بعد ايام قليلة .

وبعد ان اكتشفت السلطات الفرنسية سر الغادة البريطانية الرائعة الجمال ..

ولكن كيف اكتشفت السلطات الفرنسية سر اللادي كوينز العميق ؟

وكيف وقفت على اسرارها ؟

كان الجنرال غورو قد كتب الى وزارة الخارجية في باريس ، يطلعها على امر تلك الفاتنة البريطانية ، القادمة الى لبنان من بلاد الغمام ، على عظمة ومجد وشموخ .

وطلب الى وزارة الخارجية الفرنسية ان تستفسر من سفارتها في لندن امر اللادي كوينز .

من هي ؟

ماذا جاءت تفعل في لبنان ؟

وجاء الجواب ، بعد اسابيع طويلة : «ايفا كوينز ليست «لادي» . هي امرأة بريطانية عادية ، لا «لادي» ، ولا من يحزنون...

تزوجت ثلاث مرات ، وتطلقت ثلاث مرات .

تنتمي للحركة الصهيونية العالمية ، وهي ليست غنية كما يخيل اليكم».

وانكشف السر امام رجال الانتداب .

واتضح لهم ان ايفا كوينز تعمل لحساب الصهيونية العالمية ، من اجل تحقيق آمال ابناء صهيون ، في اقامة

دولة صهيونية في فلسطين .

وهي ما جاءت الى لبنان الا من اجل تحقيق هذا الامل .

اما المال الذي تنعم فيه ، والذي توزعه على انصارها واصدقائها ، فهو مال صهيوني .

وفي حين كان رجال المكتب الثاني يستعدون لاعتقال اللادي كوينز ، وقفوا على سر جديد ..

فقد حمل سليم عبد الله وأديب عواد الى رئيسهم خبرا مهما : «رئيس حزب الانطلاق اللبناني يعمل على ايصال رئيسه نهاد العاطي الى رئاسة الجمهورية» .

ورئيس المكتب الثاني يعلم اي علاقة متينة العرى تربط بين اللادي وبين نهاد العاطي ..

ماذا اذن ؟

ماذا ؟

اللادي كوينز تحاول ايصال صديقها الى رئاسة الجمهورية ، لتستولي هي على الحكم من وراء ظهره .

المصلحة الصهيونية تتطلب الاستيلاء على الحكم في بعض الدول العربية المجاورة لفلسطين .

وعندئذ ، بعد ان يوطد الصهيونيون اقدامهم في الدول المجاورة لفلسطين ، يهون لديهم الوصول الى مآربهم .

وعقد الجنرال غورو اجتماعا في دار المفوضية ، حضره بعض المستشارين ، ومن بينهم المستشار روبير بواتيه ، الذي خلف المستشار الفونس رودان ، والذي كان قد احتفظ بنهاد العاطي سكرتيرا له ، والكومندان بوكار ، ورئيس المكتب الثاني ومساعده موريس بوجير ، وبعض الضباط الفرنسيين •

وبحث المجتمعون قضية اللادي كوينز ، وقضية حزب الانطلاق اللبناني ••

واقترح بعض الضباط اعتقال اللادي كوينز ، ونهاد العاطي ، وجميع اعضاء حزب الانطلاق اللبناني ، وزجهم في اعماق السجون •

الا ان الجنرال غورو عارض هذا الاقتراح ، وارتأى اعتقال اللادي كوينز بصورة سرية ، والتحقيق معها لمعرفة سماء رؤسائها وعملائها ، وعدم التعرض لحزب الانطلاق، لى ان يكلف المستشار بواتيه بالتحقيق مع سكرتيره نهاد العاطي ، لمعرفة مدى علاقته باللادي كوينز ، ويكلف وريس بوجيه بالتحقيق مع امين سر الحزب وفيق العاطي صورة سرية ايضا •

لم يكن الجنرال غورو يريد ان ينشر الفضيحة على لا •

ولا ان يعلم الجميع ان هناك «سكرتيرا» في دار

الحكم متواطئا مع امرأة بريطانية صهيونية ، تعمل على تقويض دعائم الانتداب •

لقد كان الجنرال غورو رجلا عسكريا •

الا انه كان دبلوماسيا مرنا ايضا ، وسياسيا كبيرا ، يعرف كيف يعالج الامور ، ويحل الازمات بحكمة وكياسة واعتدال •

ووافق المجتمعون على اقتراح الجنرال غورو ••

وبدأوا التنفيذ •

وفي صباح اليوم التالي ، عندما وصل «السكرتير» نهاد العاطي الى مكتبه في دار الحكم ، قال له الحاجب :

ان المستشار ينتظرك في ديوانه يا سيدي •

ودخل نهاد الى ديوان المستشار ، وقد خيل اليه ، ان المستشار بواتيه يريد استشارته في حل بعض المعضلات اللبنانية ، او يريد ان يكلفه باسترضاء زعيم لبناني •

الا انه دهش ، عندما استقبله المستشار بواتيه ، على غير عادته ، بابتسامة هازئة صفراء •

وبادره بقوله : اهلا برئيس حزب الانطلاق •

ووجم نهاد العاطي ••

لقد فضح امره •

المستشار بواتيه ، هو غير المستشار رودان ، لو ظل المستشار رودان على قيد الحياة ، لما اكتشف سر تأسيس

الحزب .

هذا ما خيل لنهاد .

ولم يعلم نهاد العاطي يومذاك ، ان ليس للمستشار بواتيه يد في اكتشاف سر حزبه .

وان اللادي كوينز كانت «اصل البلاء» .

ولم يجب نهاد العاطي بحرف ..

ولاحظ المستشار بواتيه وجوم سكرتيره واضطرابه.

فقدم له لفافة .

وقال : لو انك تفضلت وأعلمتنا بتأسيس حزبك ، لكنا قد انضممنا تحت لوائك ، في الحزب الجديد ، ايها السكرتير .

واشتد الوجوم بنهاد العاطي ، وهو يحس في كلمات رئيسه التهكم والسخرية ..

ودعاه المستشار الى الجلوس .

فجلس ..

وبدأ التحقيق ...

ولم يستطع نهاد العاطي ان يخفي شيئا عن رئيسه .

فروى له كل شيء .

اخبره كيف تعرف الى اللادي كوينز .

وكيف شجعته على تأسيس الحزب السياسي .

وكيف نثرت بين يديه الذهب .

وكيف وعدته برئاسة الجمهورية ...

لقد روى نهاد للمستشار روبير بواتيه كل شيء ، دون ان يخفي عنه شيئا ..

وكان المستشار يسجل اعترافات سكرتيره اللبناني باهتمام شديد ..

وعندما انتهى نهاد من «تفريغ جراب اخباره واسراره» .

قال له المستشار : كان عليك ان تطلعنا على هذه الاسرار يا نهاد قبل الان . لقد تصرفت تصرف الموظف العاق ، ويمكننا ان نعتقلك الان ، ونزج بك في اعماق السجون .

وبدأ العرق البارد يتصبب من جبين نهاد العاطي ، والمستشار يلوح له بالسجن .

اهكذا تكون نهاية رئيس حزب الانطلاق ؟

اهكذا يتوارى ذلك الحلم الرائع الجميل ، حلم رئاسة الجمهورية ، سريعا ؟

وراح المستشار يراجع ما سجله ، في حين لاذ نهاد بالصمت البارد الصامت العميق ..

واستأنف المستشار الكلام، بعد صمت قصير ، ليقول: اسمع يا نهاد ، عليك ، منذ هذه الساعة ، ان تطلعنا على كل ما يدور بينك وبين اللادي كوينز من احاديث وأسرار. هذا اذا اردت ان نظل راضين عنك ، وان تحتفظ بمنصبك

الرفيع .

وتنفس نهاد العاطي الصعداء .

الحمد لله . يبدو انه نجا من المأزق الرهيب المخيف.

سيظل في منصبه اذن ؟

وسيحتفظ برضى اسياد الانتداب الفرنسيين ؟..

وتمتم نهاد : سأكون عند حسن الظن يا سيدي ، وسأطلعكم على كل شيء . كل ما يدور بيني وبين اللادي كوينز ، سأنقله اليكم بأمانة واخلاص .

لقد وعد نهاد العاطي رئيسه المستشار بأن ينقل اليه ما يدور بينه وبين اللادي كوينز من احاديث .

الا انه لم يستطع ان يبر بوعده .

ذلك لانه لم يدر بينه وبين الحسناء البريطانية اي حديث ، بعد ذلك التحقيق ، لأن رجال المكتب الثاني الفرنسي كانوا قد اعتقلوا اللادي كوينز ، وبدأوا معها تحقيقا سريا واسعا ..

وكان رجال المكتب الثاني قد صادروا من قصر اللادي كوينز بعض الرسائل والوثائق التي تثبت انها عضو بارز في مؤسسة صهيونية عالمية .

وانها ما جاءت الى لبنان الا لتعمل لقضية الصهيونية، ولانشاء دولة اسرائيل في فلسطين .

والقضية الصهيونية ، لم تكن يومذاك بارزة .

ولم تكن واضحة كل الوضوح .

ولم يكن الخطر الصهيوني قد بدأ يظهر بشكله الواضح الجلي يومذاك .

وبالرغم من ذلك ، فقد رأى الفرنسيون في نشاط تلك المرأة البريطانية المشبوه خطرا على نفوذهم ، وعلى لبنان .

فارتأوا ان يستغرقوا في التحقيق معها ، وان يتبسطوا ، كي يصلوا الى مآرب واهداف تلك المرأة البريطانية .

وبالتالي كي يتوصلوا الى مآرب واهداف الصهيونية العالمية .

وكانت اللادي كوينز تجيب على الاسئلة بكل ذكاء وحكمة ودهاء ، محاولة اخفاء اهدافها الحقيقية .

وادعت اولا ، انها ما جاءت الى لبنان الا للسياحة وللراحة والاستجمام .

كما ادعت بان نهاد العاطي عشيقها ، وانها تجهل مآربه السياسية .

وانها لا تتعاطى السياسة ، ولا تهتم بالاحداث السياسية ..

وعندما جابهها رجال المكتب الثاني باعتراف نهاد العاطي حيث يقول :

«وكانت اللادي كوينز تشجعني على تأسيس حـزب سياسي ، أملا في الوصول الى رئاسة الجمهورية فـي المستقبل ، وكانت تمدني بالمال اللازم لتأسيس الحزب »

اجابت :

هذا صحيح ٠

انا احب نهاد العاطفي ، ونهاد يحبني ٠

وكنت ارجو ان اتزوج منه ٠

ولذلك فقد شجعته على تأسيس الحزب السياسي ، لايصاله الى رئاسة الجمهورية ٠

وأية امرأة ترفض ان تكون عقيلة صاحب الفخامة ؟

انا عندما مددت نهاد العاطفي بالمال ، وبالنصائح وبالتشجيع ، كنت اهدف الى ان اصبح «صاحبة العصمة عقيلة فخامة رئيس الجمهورية» ٠

وتأكد لرجال الانتداب ان اللادي كوينز لم تكن تعمل للمصلحة البريطانية ٠

ولم تكن تريد مناصرة البريطانيين على الفرنسيين ٠

بل كانت تعمل لاهداف بعيدة المدى ٠

ابعد من العمل للقضية البريطانية ٠

انها تعمل للقضية الصهيونية العالمية ٠

ولكن الفرنسيين بدأوا يرتابون بميول تلك المـرأة الحسناء وبأهدافها ٠

وبدأوا يميلون الى الاعتقاد بأنها تعمل ايضا لمصلحة البريطانيين ضد الفرنسيين ، عندما جاء القنصل البريطاني في لبنان الى الجنرال غورو محتجا على اعتقال احـدى الرعايا البريطانيين السيدة ايفا كوينز ، مطالبا باخـلاء سبيلها ٠

ورد الجنرال غورو على القنصل البريطاني بقوله :

ان السيدة كوينز رهن التحقيـق الان ، فاذا اثبت التحقيق التهم المنسوبة اليها ، احيلت الى القضاء ، وان لم تثبت تلك التهم ، اخلي سبيلها ٠

وخرج القنصل البريطاني من ديوان المفوض السامي غاضبا حانقا ٠

ولم تتوقف المساعي البريطانية لاطلاق سراح اللادي كوينز عند طلب القنصل البريطاني ، بل تعدتها الى وزارة الخارجية البريطانية ٠

فجرت اتصالات بين لندن وباريس من اجل اخـلاء سبيل ايفا كوينز ٠٠

واذا بوزارة الخارجية الفرنسية تكتب الى الجنرال غورو موعزة اليه باطلاق سراح ايفا كوينز ٠

وكان من الطبيعي ان يستاء الجنرال غورو لهـذا الايعاز ٠

الا انه لم يستطع مخالفة اوامر وزارة الخارجية ٠٠

وأطلق سراح اللادي كوينز وأمرت بمغادرة لبنان فورا ..

وغادرت تلك المرأة البريطانية الصهيونية لبنان الى فلسطين ، حيث اصبحت تحت حماية رجال الانتداب البريطانيين في الاراضي المقدسة .

هذه الحادثة ، التي جرت في لبنان منذ زهاء خمسين سنة ، تشير اشارة واضحة ، الى ان الصهيونيين كانوا يعملون لقضيتهم منذ أمد بعيد .

وان نفوذ الصهيونية يمتد الى جميع دول الارض .

وان الدول الكبرى ، ومنها بريطانيا ، كانت تعمل ، منذ امد بعيد ، على تحقيق امنية ابناء صهيون .

لقد استطاعت امرأة صهيونية جميلة ان تشغل اللبنانيين والفرنسيين في لبنان ، وان تثير اهتمام وزارة الخارجية البريطانية ، ووزارة الخارجية الفرنسية .

وتركت «اللادي كوينز» وراءها في لبنان تساؤلات وشائعات وأخباراً.

وارتاحت السيدة سرسق من مزاحمتها على النفوذ .

كما ارتاحت منها ايضا كلوديت ارملة المستشار .

اما نهاد العاطي ، فقد خسر بها ركنا متينا ، وأملا باسما مخضل الجناح .

ولم يكن نهاد العاطي يعلم ماذا عليه ان يفعل ، بعد

ان ورّطته اللادي كوينز في تأسيس حزب الانطلاق .

وبعد ان زرعت في نفسه حلم «رئاسة الجمهورية»، ثم غادرت لبنان .

وكان نهاد يخشى ان يخسر منصبه الكبير ، بعد ان خسر اللادي كوينز .

ولم يجرؤ على الاجتماع بأركان حزبه .

وظل نهاد زهاء شهر حائرا في امره .

يحضر كل يوم الى مقر عمله ، آملا ان يحظى من رئيسه المستشار بكلمة تبدد مخاوفه ، وتعيد اليه الثقة والاطمئنان والهدوء .

الا ان المستشار بوانيه لم يجد على نهاد العاطي لا بكلمة ، ولا بنظرة ، مما اثار مخاوف نهاد وقلقه .

وذات يوم ، بعد انقضاء شهر على ابعاد اللادي كوينز عن لبنان ، دعي نهاد العاطي لمقابلة الجنرال غورو..

ودب الذعر في قلب السكرتير .

وأيقن ان الأمر على جانب كبير من الخطورة .

وشخص نهاد العاطي الى قصر المفوض السامي وفي رأسه يدور الف سؤال وسؤال ، وألف خاطر وخاطر .

ومثل بين يدي الحاكم الفرنسي ، والهلع يطل من عينيه .

الا ان قلقه تبدد ، ومخاوفه تلاشت ، عندما استقبله

الجنرال غورو بابتسامة زاهية ، ورحب به ترحيبا حارا .
ودعاه للجلوس قربه .
وجلس نهاد العاطي ، والحيرة تحل في عينيه ، محل الهلع والخوف .
ماذا يريد منه الجنرال غورو ؟
ولماذا يرحب به هذا الترحيب الحار ؟
ولماذا دعاه اليه ؟
ولم يستطع نهاد ان يجيب على سؤال واحد من هذه الاسئلة التي تدور في خاطره .
وبدأ الجنرال غورو كلامه .
فبدأت الأحاجي تحل امام نهاد .
قال الجنرال : بلغني انك أسست حزبا سياسيا يا نهاد . وهذا ما يسرني ، ويهيب بي الى تهنئتك على جرأتك ووطنيتك .
وهمس نهاد بحيرة وارتباك : شكرا يا سيدي الجنرال .
وتابع الجنرال غورو حديثه قال : ومما يشيع في قلبي الارتياح ، هو ان حزبك يعمل من اجل توطيد الصداقة الفرنسية اللبنانية . فقد بلغني ان حزبك يؤيد الانتداب الفرنسي ، ويناهض السياسة البريطانية التي تهدف الى تعكير العلاقات بين لبنان وفرنسا .

قال نهاد : اجل يا سيدي . هذه هي اهداف حزبنا ، وهذه هي امانيه .
قال الجنرال غورو : ومن اجل ذلك ، فنحن على استعداد لان نمد لحزبكم يد المعونة ، ما دام هذا الحزب يخدم اهدافنا ، فنحن على استعداد لتقديم المساعدات له ، ولكن ..
تساءل نهاد : ولكن ماذا يا سيدي الجنرال ؟
قال الجنرال غورو : ولكن عليك ان تستقيل من منصبك ، فأنت لا تستطيع ان تكون موظفا ورئيسا لحزب سياسي في وقت واحد .
ووجم نهاد .
ماذا يقول الجنرال ؟
أيدعوه الى الاستقالة من منصبه ؟
وهل تساوي رئاسة حزب الانطلاق منصب سكرتير المستشار ؟
وتابع الجنرال غورو كلامه قال : ثم عليك ان تتقدم بطلب من الادارة المسؤولة ، تطلب الترخيص بانشاء الحزب . فنحن لا نستطيع ان نفتح باب تأسيس الاحزاب في لبنان على مصراعيه . قد تكون بادرتك هذه طريقا يسلكه كل من اراد ان «يغني موالا» وينشىء حزبا .
وكاد نهاد العاطي يقول للجنرال :

لقد عدلت عن الاستمرار في العمل الحزبي ، لا كان حزب الانطلاق ، ولا كانت الدعوة الى الانضمـــــام تحت لوائه .

انا افضل البقاء في منصبي يا سيدي الجنرال .

الا انه رأى ان يتريث ، وان يستشير ابن عمه ، امين سر الحزب وفيق العاطي ، قبل البت في الامر .

واكتفى بأن يقول : ارجو ان اكون عند حسن الظن يا سيدي الجنرال .

وودع نهاد الجنرال غورو ، وخرج من ديوانه ليسرع الى ابن عمه المحامي وفيق ، ويطلعه على ما كان بينه وبين المفوض السامي ..

وتمتم وفيق ، وقد وقف على ما دار بين ابن عمه والجنرال غورو : يبدو ان الطريق اصبح معبدا امامك الى رئاسة الجمهورية يا ابن عمي، فأنت الان في مقام مرموق، بعد ان شملك المفوض السامي برعايته وباهتمامه .

قال نهاد : ولكنه طلب الي الاستقالة من منصبي ، وانا افضل ان اظل سكرتيرا للمستشار ، على ان اكـون رئيسا لحزب الانطلاق .

فضحك وفيق العاطي وقال :

هذه هي عقلية الموظف في لبنان .

فالموظف يأبى ان يتحرر من عبودية الوظيفة .

ويرفض ان تحل قيود معصميه .

فهو يفضل الوظيفة على العمل الحر .

كم من مواهب اخمدتها الوظيفة .

وكم من نوابغ اطفأت الوظيفة فيهم قبس الموهبـــة والنبوغ .

قال نهاد : اذن انت تريدني على التخلي عن وظيفتي، لأنصرف الى العمل السياسي ؟

قال وفيق : هذا ما اريد .

ان المستقبل الزاهر الزاهي يبسم لك .

والايام تضفر لجبينك اكاليل الغار .

وانت تأبى الا ان تظل راسخا في العبودية ، مكبلا بالقيود .

اشخص الان توا الى دار الحكم ، وارفع استقالتك، واتكل على الله وعلى ابن عمك وفيق .

وعمل نهاد العاطي بنصيحة ابن عمه .

فاستقال من منصبه .

وانصرف الى تنظيم حزبه السياسي .

وكان الفرنسيون يعطفون على نهاد ، ويرعون حزب الانطلاق .

حتى بزغ يوم، أعلن فيه نهاد التمرد على الفرنسيين.

فما كان منهم الا ان اخذوا يعملون على تحطيم ذلك

الحزب .

ولم يستطع حزب الانطلاق ان يصل برئيسه نهاد العاطي الى سدة الرئاسة .

الا انه اوصله الى النيابة والى الوزارة بعد سنوات قليلة .

فاصبح نهاد العاطي نائبا في المجلس النيابي .

ثم اصبح وزيرا .

وفي النيابة ، وفي الوزارة ، ظل نهاد ذلك الموظف .

فكان يتصرف ، وكأنه موظف في دار الحكم .

ما على الفرنسيين الا ان يأمروا ، حتى يهب نهاد العاطي ، وزيرا كان ، ام نائبا ، لتنفيذ الاوامر السامية ، واجابة الطلب .

الفصل السادس

عادت كلوديت ارملة المستشار الفونس روذان الى دار الزوجية بالسلامة، بعد ان نأى زوجها عن تلك الدار، الى دار الخلود .

فقد انتهت مهمة كلوديت في تلك الدار في ضواحي بيروت، قرب قصر اللادي كورنر، بعد ان ابعدت «اللادي» البريطانية عن لبنان ..

وكانت الذكريات المؤلمة الرهيبة ، تطل عليها في كل زاوية من زوايا تلك الدار .

وكان يخيل اليها ان زوجها الراحل مـا زال هناك ، يطل عليها في كل مقعد كان يجلس عليه ؛ وفي كل كأس كان يشرب منها ؛ وفي كل ثوب كان يرتديه .

وكثيرا ما كان الفونس روذان يلوح لأرملته في الحلم غاضبا مؤنبا ، صارخا بها : يا مجرمة ! انت قتلتني ..

وتستفيق الارملة الحسناء على ذعر وخوف .

وتجلس في سريرها البارد تفكر وتبكي .

كانت كلوديت تشعر بجريمتها .
وكانت على يقين من انها قتلت زوجها .
فهي مجرمة خائنة ، قاتلة ..
وبالرغم من تلك الذكريات المؤلمة التي كانت تلوح لها في زوايا تلك الدار ، فقد ابت الفرنسية الحسناء ان تخرج من تلك الدار .
فحبست نفسها فيها ، لا تخرج منها الا لقضاء حاجة او لشراء ما تحتاج اليه من الثياب .
وكانت الخادمة ليلى تقوم على خدمتها ، وتهتم بأمورها .
ولم يكن ثمة من يزورها الا صديقها الجديد الكومندان بوكار ..
وكان الكومندان بوكار يعطف على كلوديت .
وكانت الأرملة الحسناء تركن اليه ، وتطمئن لحديثه ، وتنتظر زيارته بصبر نافد بعيد .
فهو صديقها المخلص الوفي ، ومرشدها ، وحامي حماها .
وتوطدت الصداقة بينهما .
ولم تلبث تلك الصداقة ان بدأت تتحول الى عطف وحنين .
والعطف والحنين تحولا في القلبين ــ قلب الكومندان

وقلب الارملة الحسناء ــ الى حب وهوى .
الا ان ، لا كلوديت باحت بما في قلبها .
ولا الكومندان بوكار افصح عما يداعب فؤاده من هوى وشوق وهيام .
واكتفى الاثنان بالنظرات الهائمة الولهى يتبادلانها .
وباليدين تداعبان الأنامل كلما تصافحتا .
وكتم كل منهما حبه في قلبه ، بالرغم من بوح العينين واليدين .
حتى كان عيد رأس السنة عام ١٩٢١ .
في ذلك العيد ، اقيمت حفلة ساهرة راقصة في مربع «الفونس» في بيروت ، حضرها عدد وفير من الفرنسيين واللبنانيين .
وكان الكومندان بوكار وكلوديت روددان بين المدعوين الى تلك الحفلة .
فجلسا الى مائدة يتناولان الطعام ، ويتحدثان .
وبدأت حفلة الرقص .
فاذا بالكومندان بوكار يدعو احدى الصبايا اللبنانيات للرقص .
وجلست كلوديت تراقب صديقها الكومندان يراقص الحسناء اللبنانية ، والغيرة تحرق قلبها ، وتكوي فؤادها .
وأقامت تنتظر عودة صديقها اليها .

الا ان انتظارها طال .

فقد كان الكومندان بوكار منصرفا الى تلك الحسناء، يراقصها ويخاصرها .

ويسكب في اذنيها همسات، اين منها همسات النسيم البليل العليل .

واشتدت الغيرة في قلب كلوديت .

واشتعل اللهيب في فؤادها .

فوقفت لتحمل معطفها ، وتسرع بالخروج من ذلك المربع ، عائدة الى دارها .

ودخلت الى تلك الدار لتدخل الى غرفتها ، فتنزع عنها ثيابها وترتدي ثياب النوم ، وتستلقي على سريرها ، وتجهش بالبكاء .

وبدأت الذكريات تنساب الى رأسها ، مع انسياب الدموع من عينيها .

فتذكرت زوجها ، وخيانته .

وتذكرت حبيبها السابق تهاد العاطي وغدره .

فهمست في سرها : كلهم خائنون غادرون . هـذا نصيبي من الرجال ، فلأبتعد عنهم ..

ومضت في تفكيرها ، وفي نبش الذكريات .

ومع كل فكرة دمعة .

ومع كل ذكرى ألم وجراح ..

وشعرت الأرملة الفرنسية الحسناء بالوحدة تعصر قلبها ، وبذلك الفراش البارد الوثير الذي يلف جسدها كأنه ابر وشوك .

ولاحت لها الدنيا ، عبر دموعها وآلامها وجراحها سوداء قاتمة مدلهمة .

ما قيمة هذه الحياة الفانية ؟

ولماذا نعيش على هذه الارض ؟

لماذا نعدو وراء ملذات هذه الحياة ؟ وراء المال والجمال والجاه والنفوذ، ما دام مصيرنا الى القبر، ونهايتنا الى التراب ؟

الموت اذن نهاية كل حي .

وهي ستموت ، كما مات والدها .

وكما ماتت امها .

وكما مات زوجها .

لا بد من الموت ..

فهو قادم اليها مع كل اطلالة فجر ، وعند كل مغيب .

فلماذا تنتظر حضوره اليها . ولا تذهب هي اليه ؟

صحيح !..

لماذا لا تموت الان ، وتتخلص من هذه الحياة المرة المذاق ، الحالكة السواد ؟..

تموت ؟

اجل ..

جرعة من زجاجة اليود ، التي تحتفظ بها في خزانتها،

وينتهي كل شيء .

وراقت لها الفكرة .

ستموت ، وتضع حدا لعذابها، ولآلامها ، ولمصائبها،

الدهر يحاربها .

وهي ستجابه حربه بالموت .

لن تخاف الموت .

فالموت افضل من هذا العذاب الذي تعيش فيه .

واستوت في سريرها .

وقد عزمت على ان تضع حدا لحياتها .

وشاهدت نفسها بعين الخيال ، جثة هامدة ، ممددة

على فراش الموت ، وقربها خادمتها ليلى تبكي وتولول ..

مسكينة ليلى . ماذا ستفعل عندما تكتشف انتحارها ؟

ستخاف ... وتضطرب ...

فلتمد لها اذن يد المساعدة ، وترشدها الى ما عليها

ان تفعل .

ستكتب لها رسالة مقتضبة .

وأسرعت الى القلم تخط الرسالة الى ليلى الخادمة :

« عزيزتي ليلى !

لا تضطربي ، وأنت تكتشفين رحيلي عن هذا العالم.

اتصلي بالسيدة سرسق ، وبالكومندان بوكـــــار

واطلعيهما على الخبر .

لا تتركي هذه الدار يا ليلى بعد موتي . هذه الدار،

بما فيها من أثاث وتحف ، هي لك .

في الخزانة مبلغ عشرة الاف ليرة لبنانية ، هي لـــك

ايضا .

ستجدين عريسا ، وقد اصبحت غنية ..

لقد انتحرت بملء ارادتي .

فصلي يا ليلى من اجل راحة نفسي .

كلوديت »

وطوت الرسالة ، ووضعتها على المنضدة ..

وقامت الى الخزانة ، تخرج منها زجاجة اليود الملأى،

وتعود بها الى سريرها ..

ووداعا ايتها الحياة ..

وراحت كلوديت تحدق بالزجاجة الصفراء ، المحتوية

على السم الزعاف .

هذا السائل الاصفر سيريحها من همومها ، وآلامها،

ودموعها ، وحياتها ..

هي ستموت بعد دقائق قليلة .

وسيتلقى الكومندان على نبأ مصرعها مع طلـــــوع

الصباح .

ماذا سيفعل الكومندان بوكار ، عندما يعلم انهـــا انتحرت من اجله •

من اجل حبه ؟

من اجله هو ؟

وكيف سيعلم ذلك ؟

صحيح كيف ؟

يجب ان تخط له رسالة ، تفصح فيها عن كل ما في قلبها من هوى ، ونار ، وولوع •

لم تستطع ان تبوح له بحبها ، وهي على قيد الحياة •

فلتبح له بهذا الحب ، وهي جثة هامدة لا حراك بها ، ولا روح •

اجل •• اجل •• هي ستطلعه على كل شيء •

ستبوح له بكل شيء ••

ستكتب له رسالة تودعه فيها ، وتودعه اسرار قلبها الهائم ، العاشق ، الولوع ••

وعادت الى القلم والى الورقة ••

وبدأت تخط الرسالة : حبيبي !••

وتوقفت عن الكتابة ••

هل يجوز لها ان تناديه حبيبي ؟••

وماذا سيقول فيها ، وهو يقرأ هذه الكلمة ؟••

ماذا سيقول ؟••

سيبكي •• سيتأكد من حبها •

لن يحتقرها ، ولن يهزأ بها •

لا بأس اذن ، فلتكمل الرسالة ••

واكملت الكتابة :

حبيبي شارل !••

عندما تقرأ هذه الرسالة ، تكون صديقتك كلوديت قد اصبحت في العالم الثاني •

فلا يمكنك ان تؤدي لها اي خدمة ، ولا اي نصيحة ، ولا اي معونة ، الا الصلاة •

فصلّ من اجل راحة نفسها ، واطلب لها من اللـــه الرحمة والرضوان ••

لقد انتحرت بملء ارادتي يا شارل •

انتحرت لأخلص من عذابي •

من عذاب قلبي •

من القلب الذي أرهقه الحب ، وأضناه الهيام •

هذا القلب المعذب ، الموجع ، الحزين ، الذي أثخنته انت بالجراح ، دون ان تعلم •

فقد احببتك بكل ما يستطيع قلب ان يحب ويهوى في هذه الحياة •

احببتك بكل جوارحي ، وبكل عواطفي ، وشوقي ، وحنيني •

الا ان هذا الحب ، العاصف في حنايا فؤادي ، ظل بلا أمل ، فعاش يتيما .

وها هو الان يموت يتيما ، ويدفن معي في القبر يتيما .

كان قد خيل الي يوما انك تبادلني الحب والهوى .

الا ان ما رأيته الليلة منك في مربع الفونس ، فتح عيني على الحقيقة الناصعة البياض .

وادركت انك بعيد عني ، بعد الارض عن السماء..

فقد ابتعدت عني ، وتركتني وحيدة ، كي تراقص حبيبتك اللبنانية الحسناء .

فهنيئا لك بها يا حبيبي .

كل ما ارجوه ، وانا على عتبة الابدية ، ان تسعد بهواك ، وان تحيا حياة هانئة ناعمة سعيدة .

واذا كان لي من امنية لديك ، فهي ان تذكرني وان تصلي من اجلي .

اما انا فحسبي انني احمل معي الى قبري ، حبك وهواك ، يا اغلى الناس على قلبي .

اقبلك ...

انها القبلة الاولى والاخيرة . واسلم من كل اذى وشر يا حبيبي .

كلوديت ».

وأعادت قراءة الرسالة ، والدموع تموج في عينيها. وطوتها ، ودستها في مغلف ختمته ، وخطت عليه : الى الكومندان شارل بوكار .

ووضعت الرسالة قرب رسالة ليلى على المنضدة ..

وألقت بلفافة بين شفتيها وأشعلتها .

هذه هي اللفافة الاخيرة ، التي تدخنها قبل رحيلها عن هذه الحياة .

وستساعدها هذه اللفافة على استقبال الموت بجرأة وبشجاعة .

ونفثت دخان اللفافة في الفضاء ..

وامتدت يدها الى زجاجة البود ، تفتحها وتفرغ ما فيها في فمها ، وتهمس : يا رب ! اغفر لي خطاياي ، انك ارحم الراحمين .

وشعرت كلوديت بالآلام تمزق احشاءها بعد قليل .

ومع الآلام ، شعرت بالخوف .

وكان الخوف يتزايد في قلبها ، كلما تزايد الالم .

ولاح لها شبح الموت رهيبا مخيفا .

يا لهول تلك الساعة .

ساعة الوقوف على عتبة الابدية .

ساعة انفصال الروح عن الجسد .

ساعة تخبو الحياة في هذا الهيكل الترابي الفاني .

وأخذت يداها ترتجفان .

ورأت كلوديت اللفافة تتراقص بين اصابعها العاجية.

فلاحت لها تلك الاصابع هيكلا من عظام ..

اصابعها هذه ستصبح عظاما لا رونق بها ، ولا حياة، ولا رعشة ، ولا جمال .

وجمالها هذا سيذوب ، ويتحول الى تراب ..

أهذه هي حياتنا ؟

أهذا هو الجمال ؟

أهذه هي الملذات والسعادة على هذه الارض ؟

فناء ، واضمحلال ، وفساد ، وتراب ؟

ما أسخف الانسان ، وما اقصر بصره وبصيرته .

انه ليلهو بالقشور ، ويعرض عن اللباب .

ينصرف الى ملذات الارض ، ويبتعد عن ملذات السماء .

واستبد الألم بكلوديت .

واشتد الذعر والهلع بها فانطوت في سريرها تئن وتبكي .

وكانت انوار الفجر البعيد قد بدأت تسكب ذوبها الوردي الجميل على بيروت .

وبدأت خيوط الفجر تتسلل ، عبر زجاج النافذة ، الى غرفة كلوديت رودان ، لتشهد احتضارها ، وآلامها ،

وأنينها ، ودموعها .

وأفاقت الخادمة ليلى ، كعادتها ، مع مطلع الفجر .

ووجمت الخادمة وأنين سيدتها يقع في اذنيها .

وقبل ان تتجه الى المطبخ ، اتجهت الى غرفة السيدة كلوديت .

وذعرت ليلى ، وهي تشاهد سيدتها على تلك الحال.

وأطبقت عليها تناديها : سيدتي ! سيدتي ! سيدتي ! ما بك ؟

وحاولت كلوديت الكلام .

حاولت ان تجيب خادمتها .

فعجزت عن النطق بحرف .

واكتفت بأن ترمق تلك الخادمة الحسناء ، بنظرة تائهة حيرى ، تنم عما في قلبها من لوعة ، وأسى ، وحزن، وألم ، وخوف ..

ووقعت عينا الخادمة ليلى على الرسالتين ، على الرسالة التي تحمل اسم الكومندان بوكار ، وعلى تلك التي تحمل اسمها ..

وفضت الرسالة التي تحمل اسمها على عجل ..

واشتد الخوف والهلع بها ، وهي تقف على ما جاء فيها ..

سيدتها انتحرت اذن ..

وهي تطلب اليها ان تتصل بالسيدة سرسق ، وبالكومندان بوكار ..

وأخفت الرسالتين في صدرها ، رسالتها ، ورسالة الكومندان ..

ولم تفقد اتزانها .

ولا هي فقدت تفكيرها السليم ..

سيدتها تطلب اليها ان تتصل بالسيدة سرسق ، وبالكومندان بوكار .

الا انها لن تنفذ طلب سيدتها هذه المرة .

ماذا سيجدي الاتصال بالكومندان وبالسيدة سرسق الآن ؟

هي لن تتصل بهما ؟

عليها ان تتصل بالطبيب فورا ، لعلها تستطيع انقاذ سيدتها .

وكانت الخادمة ليلى حكيمة ، فأسرعت الى الطبيب الياس الخوري ، وهو صديق سيدتها ، وكان صديق سيدها الراحل ايضا .

ودار الدكتور الياس الخوري لا تبعد الا القليل عن تلك الدار .

وعادت بالدكتور الياس الخوري ، وهو بثياب النوم ، يحمل معه بعض المصول والادوية والعقاقير .

وانصرف الدكتور الياس الخوري الى معالجة واسعاف السيدة الفرنسية الحسناء ، التي كانت تتأرجح بين الموت والحياة ..

وتمكن الدكتور الشاب (كان الدكتور البارع الياس الخوري يومذاك في مطلع عهد الشباب) تمكن من ان يتنفس الصعداء .

ويهمس : الحمد لله .

وهمست الخادمة ليلى : ماذا يا دكتور ؟ هل نجت سيدتي ؟

قال : يخيل الي انها نجت من الموت .

ولكن يجب نقلها الى المستشفى لاكمال المعالجة .

انا ساتركها الآن ، وسأطلب الى ادارة المستشفى الفرنسي ارسال سيارة اسعاف لنقلها الى المستشفى، وسأتابع معالجتها في المستشفى .

وغادر الدكتور الياس الخوري تلك الدار ..

وجلست ليلى قرب سيدتها ، والدموع في عينيها .

وراحت تفكر ...

ماذا عليها ان تفعل الان ؟

هل تنفذ اوامر سيدتها ، التي خطتها في رسالتها ؟

هل تتصل بالسيدة سرسق ، وبالكومندان بوكار ؟

ليست تدري .. ليست تدري ..

واذا بالباب يقرع .

فخيل للخادمة ان ممرضي المستشفى الفرنسي اقبلوا لنقل السيدة كلوديت الى المستشفى ..

وأسرعت الى الباب تفتحه ، لتجد أمامها الكومندان بوكار .

ووجمت الخادمة ..

وهمس الكومندان : هل عادت السيدة كلوديت الى الدار ؟

ولم تجب الخادمة بحرف .

فالمفاجأة ربطت لسانها ..

وتابع الكومندان بوكار كلامه .

قال : كنت واياها في مربع الفونس ، الا انها خرجت من المربع دون ان اراها . فأقلقت خاطري .. هل عادت الى الدار ؟

ودون ان تجيب ليلى بحرف ، اخرجت الرسالة من صدرها ، ودفعت بها الى الكومندان بوكار ..

وفض الضابط الفرنسي الرسالة على عجل .

وراح يلتهم كلماتها بعينيه .

وذعر ، وقد وقف على مضمون الرسالة .

وصرخ بالخادمة :

اين هي ؟

اين هي سيدتك يا ليلى ؟

اين هي كلوديت ؟

ماذا اصابها ؟..

ماذا دهاها ؟

وتمتمت الخادمة : تفضل بمرافقتي يا سيدي ..

وقادته الى غرفة سيدتها ..

وانكب الضابط الفرنسي على كلوديت ، والدموع تغمر عينيه .

وراح يهدر باكيا : كلوديت ! كلوديت ! حبيبتي كلوديت ..

انظري الي يا كلوديت ..

كلميني ..

انني احبك يا حبيبتي ..

انت عندي الدنيا بأسرها !

كلوديت !.. كلوديت !.. كلوديت ..

وفتحت كلوديت رودان أجفانها بثقل واجهاد ..

ونظرت الى الكومندان بوكار بعناء .

وتاهت نظراتها الهائمة الخافتة في عينيه ..

وحاولت الكلام .

فارتجفت شفتاها .

الا ان الكلمات تكسرت على الشفتين المرتجفتين ..

وعادت الاجفان الى الانطباق ..

ووهت الشفتان ، وتراختا ..

وأطبقتا على وهن وضعف وعناء .

وأمسك الكومندان بيد حبيبته الباردة ، والذعر يعصف به .

هل يخسر كلوديت ؟

هل يفقدها ؟

لقد حاولت الانتحار من اجل حبه .

من اجله هو .

اي حب اعظم من هذا الحب ؟

فهي تفضل الموت على ان تراه بين ذراعي امرأة غيرها .

هي تحبه اذن .

ولم يكن الضابط الفرنسي ليشك في حب الارملة الحسناء .

الا انه لم يكن يعلم اي حب هو هذا الحب ، والى اي مدى يصل في قلبها ؟..

وشعر الكومندان بوكار بنار الحب تعصف في قلبه ، وتندلع فيه على ثورة وجنون .

لقد شعر بانه يحب كلوديت حبا هائلا ، رهيبا ، لا حدود له ، ولا سدود ..

وراح يهمس في أذنها كلمات الهوى والحب

والحنين ، محاولا حملها على الكلام .

على التلفظ بكلمة ، بحرف ، بهمسة .

الا ان كلوديت لم تكن لتستطيع ان تفتح شفتيها المطبقتين ، وأجفانها المغمضة على وهن وذبول .

ونقلت كلوديت رودان الى المستشفى الفرنسي .

وانصرف الدكتور الياس الخوري ، مع اطباء المستشفى الى معالجتها ..

واستطاع الطب ان ينتشل الفرنسية الحسناء من اشداق الموت .

واستطاعت كلوديت ، بعد معالجة طويلة ، ان تفتح عينيها ، لتجد قربها الكومندان بوكار ، والحب يطل من عينيه .

وهمست : شارل !..

كانت الكلمة الاولى، التي فاهت بها الارملة الجميلة، اسم حبيبها ..

وارتسمت الابتسامة الزاهية على شفتي الكومندان شارل بوكار ، وهو يسمع صوت حبيبته ، بعد ان كاد يقطع الامل من الاستماع الى ذالك الصوت .

وأمسك بيدها الهزيلة يشدها ويتمتم : كلوديت ! حبيبتي !..

وكانت كلمات الضابط الفرنسي القليلة ، كالسحر

في نفس كلوديت .

كانت خير علاج ...

فشدت اصابعها النحيلة اصابعه وهمست : شارل ! انني احبك !..

وتمتم شارل بوكار : حبك ليس بأعمق ، ولا هو بأرحب من حبي يا كلوديت .

انني احبك حبا هائلا ، عاصفا ، عاتيا ، بعيد المدى، عميق القرار .

وهكذا قدر للأرملة الفرنسية ، وللضابط الفرنسي ، ان يبوحا بحبهما في المستشفى الفرنسي .

وذاع خبر اصابة كلوديت رودان بالتسمم في بيروت يومذاك .

ولكن لم يعلم الا القليل القليل ان كلوديت حاولت الانتحار .

بل قيل : ان الأرملة الحسناء تناولت طعاما مسموما ، فأصيبت بالتسمم .

وأسرع اصدقاؤها وأصدقاء زوجها الى المستشفى يعودونها ، حاملين لها الهدايا والازهار .

وكان من الطبيعي ان تكون السيدة سرسق ، اول الوافدين الى المستشفى الفرنسي ، للاطمئنان الى سلامة

صديقتها كلوديت ..

وجلست السيدة سرسق قرب سرير كلوديت مهنئة بالسلامة ..

وهمست في اذن صديقتها : لماذا حاولت الانتحار يا كلوديت ؟

وشعت ابتسامة واهية صفراء على شفتي كلوديت رودان .

وهمست : انت صديقتي المخلصة الوفية ايتها السيدة سرسق .

انا لا اخفي عنك سرا .

سبب انتحاري هو هذا القلب الموجع المعذب الولهان.

فتمتمت السيدة سرسق : وهل يستحق نهاد العاطي التضحية بحياتك من اجله يا كلوديت ؟

واتسعت الابتسامة على شفتي الأرملة الحسناء .

وهمست : وهل يخيل اليك انني انتحرت من اجل سواد عيني نهاد العاطي ؟

لا يا صديقتي . لا ..

هذا الوغد الخائن الأثيم لا يستحق مني التفاتة .

انا لم احاول الانتحار من اجل هوى نهاد العاطي .

فدهشت السيدة سرسق وهمست : من هو اذن صاحب الحظ السعيد ، الذي استطاع ان يفوز بقلبك ،

ابنها الخبيثة ؟

قالت كلوديت : قلت لك انني لا اخفي ، ولن اخفي عنك سرا .. حبيبي هو الكومندان شارل بوكار .. من اجله حاولت الانتحار . ومن اجله اضحي بحياتي . انه املي الوحيد في هذه الحياة .

فازدادت الدهشة وضوحا في عيني السيدة سرسق، وهمست : لا تجازفي ، ولا تغامري بالتورط في حب العسكريين يا صديقتي ، معظم العسكريين لا يؤمنون بالحب ، والتورط معهم في «مشاريع» عاطفية يشكل خطرا كبيرا على القلوب .. وما حدث لك الان ، وانت ما زلت في اول الطريق ، جدير بان يكون امثولة وعبرة .

فتمتمت كلوديت : احبه .. احبه .. ولا استطيع ان ابتعد عنه .

وكانت كلوديت رودان مثل معظم النساء الفرنسيات تحب بقوة وجنون ، وتكره بقوة وجنون .

قالت السيدة سرسق : هل تؤمنين بصداقتي ؟

قالت : وهل تشكين في ذلك ؟

قالت السيدة سرسق : نصيحتي لك ان تعودي الى نهاد العاطي ، وهي نصيحة اخت الى اختها .. نهاد العاطي اتصل بي اليوم ، وطلب الي ان اتوسط له عندك . انه نادم على ما بدر منه حيالك ، وهو قلق عليك . انه راغب

في الحضور الى المستشفى للاطمئنان على صحتك الغالية يا كلوديت .

فهدرت كلوديت : لا .. لا .. لا اريد ان اراه . لقد بت اكرهه كرها شديدا . انه نذل خائن شرير . لقد تخلى عني ، وانا في اشد الحاجة اليه ، والان ، بعد ان تخلت عنه عشيقتهالصهيونية البريطانية، يريد العودة الي؟ مجنون . قلامة من ظفر الكومندان بوكار تساوي لدي الف الف نهاد .

وصمتت السيدة سرسق . قد تكون كلوديت على حق . نهاد العاطي غدر بها ، وليس له ان يعود اليها .

وتابعت كلوديت كلامها قائلة : انني احب الكومندان بوكار ، يا صديقتي ، حبا هائلا شديدا وهو يحبني مثل حبي ، ونحن سنتزوج ونعيش عيش الازواج السعداء. ولا اريد من نهاد العاطي ان يعكر علي صفو سعادتي وهنائي.

وتم ما تمنت كلوديت .. ما ان خرجت من المستشفى معافية ، حتى كان الكومندان بوكار يمسك بيدها ، ويسير واياها الى المعبد ليعقد زفافهما .. واصبحت كلوديت رودان : كلوديت بوكار ...

وكان هذا كل ما تطلب وتتمنى كلوديت من دنياها . كانت تريد ان تتزوج من شاب ، لا من كهل مثل المستشار رودان . ان تحيا مع زوجها حياة هانئة سعيدة، وقد تم لها

ما ارادت .

وتمم الزوجان بحياة زوجية وارفة الرؤى ، مخضلة الجناح ، وكأن الله عز وجل اراد ان يكمل سعادتهما ، فحملت كلوديت .. وزفت البشرى السعيدة لزوجها ، فضمها شارل بوكار الى صدره . وهمس : سيكون لنا ولد .. سأكون ابا ، وستكونين اما يا كلوديت . وسيكون لنا طفل .. اريده طفلا جميلا قويا ، ليصبح ضابطا مثل ابيه .

ولم تتحقق امنية الكومندان بوكار . فلم تلد كلوديت صبيا ، بل هي ولدت طفلة رائعة الجمال ، يفوق جمالها جمال امها ! وأحب الوالدان طفلتهما حبا شديدا .. وأطلقا عليها اسم شارلوت .. لقد اختارت لها امها هذا الاسم .. انه اسم زوجها .. زوجها شارل ، وابنتهما شارلوت .. ورأى الوالدان في شارلوت الصغيرة أملهما الباسم ، وحلمهما البعيد الجميل .

الفصل السابع

مرت بلبنان ، خلال تلك الاعوام ، حوادث واحداث عديدة .. فمنذ عام ١٩٢٠ ، والزعماء اللبنانيون على اختلاف وعداوة . والسبب معروف .. المقعد ، الكرسي، انهم ليتسابقون للوصول اليه . ومن اجل الوصول يعلنون الحرب .. وكان المنتدبون يعملون على تغذية روح التناحر والعداء في قلوب الزعماء اللبنانيين . وسياستهم معروفة: فرق . تسد . وفرقوا اللبنانيين .. وسادوا .

وبدأ التنافس بين زعماء المسيحيين على المقاعد ، كما بدأ ايضا ذلك التنافس بين الزعماء المسلمين .. فكان اميل اده يناوىء حبيب باشا السعد، وحبيب باشا السعد يناوىء شارل دباس .. وكان محمد الجسر يناوىء عبد الحميد كرامي ، وعبد الحميد كرامي يناوىء ابناء بيهم . والجدير بالذكر ، انه لم تقم عداوة بين مسلم ومسيحي ، ولا بين مسيحي ومسلم . بل كان العداء يقوم دائما بين مسلم

ومسلم ، وبين مسيحي ومسيحي .. والمتدبون الفرنسيون يتفرجون ، ويضحكون ، ويحكمون .

وفي شهر ايار من عام ١٩٢٣ ، أقيل الحاكم ترابو ، ليحل محله السيد اوبوار .. وظل السيد اوبوار في الحكم حتى حزيران عام ١٩٢٥ .

في ذلك العام ، عام ١٩٢٥ ، انتخب اول مجلس نيابي وكان عدد اعضائه ثلاثين نائبا .. وفي ايار من عام ١٩٢٦ ، بزغت الجمهورية الاولى في لبنان .

ولبزوغ الجمهورية الاولى قصة طويلة طريفة . ان دلت على شيء ، فعلى تعلق اللبناني بالسيادة وبالاستقلال ، ومحافظته على الكرامة المنافة ، والشرف الأثيل . فقد ابى اللبنانيون ان يحكمهم اجنبي ، وراحوا يعملون جاهدين على تسلم الحكم .

وبعد نضال وجهاد طويلين ، استطاعوا ان يقنعوا المتدبين بانشاء مجلس نيابي . وتم انتخاب المجلس في ١٣ تموز ١٩٢٥ ، وانتخب اعضاء المجلس الثلاثون موسى نمور رئيسا لهم ، وعمر الداعوق نائبا للرئيس ، ويوسف الزين وشبل دموس اميني السر .

وبدأ النواب يطالبون برئيس للجمهورية ، لبناني ابن لبناني .. وأدرك الفرنسيون انهم اخطأوا في اعلان الحياة النيابية . لم يكن لهم ان يأتوا «بالدب الى كرمهم» .

فالنواب ، كما يبدو ، بدأوا يتمردون منذ اللحظة الاولى .. واعلن المندوبون رفضهم الطلب . سيكون للبنان رئيسا للجمهورية . الا انه لن يكون لبنانيا . بل هو سيكون فرنسيا .. وكان من الطبيعي ان يثور النواب اللبنانيون . ووقعت الواقعة بينهم وبين رجال الانتداب .. وكان ان اقدم المندوبون على تعليق الحياة النيابية ، وتعيين الحاكم كايلا ، حاكما اصيلا للبلاد .

وهب اميل اده ، وجورج تابت ، وميشال شيحا ، وجورج زوين ، ويوسف الخازن ، وموسى نمور ، وبشاره الخوري ، وغيرهم من المسيحيين . كما هب ايضا عمر الداعوق ، وعمر بيهم ، وفؤاد ارسلان ، وخالد شهاب ، وصبري حماده ، وغيرهم من المسلمين ، يطالبون بالاستقلال .. هكذا دفعة واحدة .. من الانتداب الى الاستقلال .

وأبى الفرنسيون ان ينزلوا عند طلب اللبنانيين . وهددوا بحل المجلس النيابي ، وبارسال اعضاء مجلس الشيوخ الى منازلهم .. ولكن الفرنسيين تراجعوا عن تهديدهم ، بعد مفاوضات واتصالات مع النواب والشيوخ ، وقرروا في النهاية انتخاب رئيس لبناني للجمهورية الناشئة الجديدة .

وقال رجال الانتداب للنواب : عليكم اولا ان تتفقوا

على رئيس .. إذا استطعتم ان تجمعوا آراءكم، وتوحدوا صفوفكم فسندعو المجلس النيابي الى الاجتماع للانتخاب. وان لم تستطيعوا الاتفاق ، فسنعمد الى تعيين الرئيس .

وكان الفرنسيون اذكياء . كانوا يعلمون ان النواب لن يتفقوا ، وان الزعماء اللبنانيين سيختلفون ، وان النار ستندلع بين الطامعين في المقعد الرجراج الوثير .

وصح ما توقع الفرنسيون . فقد احتدمت معركة الرئاسة بين الزعماء واندلعت النار بين اميل اده وبشاره الخوري وجورج ثابت وحبيب السعد من الموارنة ، لأن الموارنة كانوا مؤمنين بأن رئاسة الجمهورية من حقهم .. ووقف بعض زعماء الطائفة الارثوذكسية ، وزعماء بعض الطوائف الاخرى ، يتفرجون ، ويتحينون الفرص للوثوب الى المعركة . وكان بينهم شارل دباس ، وبترو طراد ..

ومنذ ذلك اليوم ، منذ مطلع عهد الجمهورية في لبنان ، والخلافات تنتشر ، وتحتدم ، وتثار بين الزعماء المسيحيين فكأن رئاسة الجمهورية كرست هذه الخلافات .

وبدأ الطامعون في الرئاسة يعملون جاهدين على الوصول الى الرئاسة ..

وكان اميل اده اكثر المرشحين املا في الوصول الى رئاسة الجمهورية ، فالفرنسيون يؤيدونه ، ويعتبرونه الصديق المخلص الوفي ، وعدد من النواب يرى فيه الأمل

المنشود .

وفيما المعركة تحتدم بين الزعماء المسيحيين ، أقام رئيس حزب الانطلاق اللبناني نهاد العاطي ، يرقب المعركة، ويأمل ان يجد له في «الساحة» موطىء قدم .. ولجأ الى رجال الانتداب طالبا تأييده ، مذكرا اياهم بالخدمات الجلى التي أداها لهم ، يوم كان سكرتيرا للمستشار . الا ان الفرنسيين اداروا له ظهرهم ، وأبلغوه ان الامر يعود الى مجلس النواب في انتخاب الرئيس الاول ، واذا كان يطمع في الرئاسة ، فما عليه الا ان يلجأ الى المجلس النيابي .

وادرك نهاد العاطي ، ان الفرنسيين غير راغبين فيه ، وان رئاسة الجمهورية بعيدة عنه ، بعد الارض عن السماء.

في هذه الاثناء ، وفيما زعماء الموارنة يتطاحنون ، ويتعاركون في ساحة رئاسة الجمهورية ، كان الفرنسيون يخططون ، ويدرسون ، ويبحثون بتكتم شديد ..

وكانت السيدة سرسق على اتصال ببعض رجال الانتداب ، فراحت تعمل جاهدة على ايصال ابن طائفتها شارل دباس للرئاسة ، الا ان الكفة كانت تميل الى جانب اميل اده ، فادركت السيدة سرسق ان مهمتها على صعوبة كبيرة ، وانها تحتاج الى جهد ، وتعب ، وعناء .

وبذلت السيدة سرسق الجهد ، والعناء ، والتعب .. ولجأت الى صديقتها الحميمة كلوديت زوجة الكومندان

بوكار ..

وكلوديت كانت يومذاك قد ابتعدت عن السياسة ، ووقفت حياتها على زوجها ، وعلى ابنتها الجميلة شارلوت.

وكانت شارلوت قد بلغت الخامسة من عمرها ، وكان والداها يريان فيها الأمل الباسم الوضاح الجبين . الا ان كلوديت لم تشأ ان ترد السيدة سرسق خائبة . فهي لم تنس مكارمها ، وأفضالها ، واليد السخية البيضاء التي مدتها اليها في محنتها ومصابها ، فوعدتها بالمساعدة .. وساعدتها ..

ساعدتها بأن طلبت الى زوجها الكومندان ان يسعى لدى المفوض السامي بايصال شارل دباس الى الرئاسة .

وفيما النواب يحاولون اختيار رئيس الجمهورية . وفيما الكفة تميل الى جانب اميل اده ، وفيما جورج ثابت يعمل على «تطبيق» النواب لانتخابه هو . وفيما بشاره الخوري يفرك يديه ، وينتقل من دار نائب الى دار زعيم ، محاولا «تشليح» اميل اده انصاره . كان الفرنسيون يجمعون المعلومات عن شارل دباس، ويجتمعون بوجهاء وبزعماء الطائفة الارثوذكسية ، ويدرسون امر انتخاب شارل دباس رئيسا للجمهورية .

وقر الرأي عل أن يكون شارل دباس، الأرثوذكسي، رئيساً للجمهورية اللبنانية.

فقد اقتنع الفرنسيون بانتخاب الارثوذكسي للرئاسة، لان الارثوذكس لم يكونوا راضين عن الفرنسيين كل الرضى ، وانتخاب رئيس ارثوذكسي كفيل باستمالتهم ، وبالحصول على رضاهم التام ..

اما الموارنة ، فهم في الجيب ...

ونزل الوحي على النواب ..

وفي ايار عام١٩٢٦ انتخب النواب شارل دباس رئيسا للجمهورية اللبنانية ، وفي ٣١ ايار ، شكل اوغست اديب، الوزارة الاولى في الجمهورية الاولى .

وكانت مهمة شارل دباس صعبة . فهو اول رئيس للجمهورية الفتية ، وعليه ان يثبت انه اهل للمنصب الرفيع، وانه جدير بالجلوس على سدة الرئاسة ، في عهد يبسط الانتداب على لبنان اجنحته ويمد المتدبون اصابعهم الى الحكم .

صحيح ان شارل دباس كان رئيسا للجمهورية اللبنانية ، الا انه لم يكن يستطيع ان يحل عقدة ، ولا ان يفض معضلة . فالكلمة الاولى والاخيرة كانت للفرنسيين. الا ان الدباس ، استطاع بما يملك من حكمة وذكاء ، ان يقول كلمته في بعض الامور العليا ، وان ينفذ مشيئته ، وان يحكم .

وقيل يومذاك ، ان الفضل في ذلك لا يعود الى

رئيس الجمهورية وحده ، بل يعود ايضا الى رئيس وزرائه الباشا اوغست اديب ، الذي كان يتربع على قمة من الحنكة ، والمقدرة ، والحكمة ، والدهاء .

وكان رئيس الجمهورية شارل دباس يعيش عيش هدوء ، وتواضع ، وعمل .

فلا وجاهة ، ولا عظمة ، ولا بذخ ، ولا اسراف ، بل تقتير ، وعمل ، وصمت .

كان شارل دباس رجل عمل . فهو يريد ان يثبّت اقدام رئاسة الجمهورية ، يريد ان يجعل من هذا المنصب ركنا متينا ، لا تزعزعه الرياح ، ولا تذريه العواصف الهوجاء . كان كل هم شارل دباس ان «يلبنن» رئاسة الجمهورية لبنانية ، فلا يعود امرها الى الفرنسيين ، ولا ينتخب بعده رئيس فرنسي للجمهورية اللبنانية .

ومن اجل ذلك ، راح شارل دباس يمارس صلاحياته كرئيس للجمهورية . وقد ابى يومذاك ان يوقع مرسوما فرضته عليه المفوضية ..

ووقف رئيس الوزراء بجانبه. واتفق رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة على ان يقولا معا كلمة «لا ..» ، للمرة الاولى في عهد الانتداب .

ولعل ذلك الاتفاق بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة ، كان الدعامة الاولى ، للاتفاق الذي تم بعد سبع

عشرة سنة بين رئيس الجمهورية بشاره الخوري وبين رئيس الوزارة رياض الصلح ، اللذين قالا للمرة الثانية : «لا ..» لرجال الانتداب .

واستمرت رئاسة اوغست باشا اديب سنة كاملة، منذ ايار عام ١٩٢٦ حتى ايار ١٩٢٧ ، اظهر خلالها مقدرة ، ووطنية ، واخلاصا .

وتبرم الفرنسيون بتصلب رئيس الوزارة ، فاخذوا يعملون ، بعد سنة ، على اسقاط وزارته .

وفي هذه الاثناء ، كان الطامعون برئاسة الوزارة يعملون ايضا على تقويض دعائمها ، متحينين الفرص للاطاحة بالوزارة ..

وحانت الفرصة ، عندما سافر رئيس الوزارة الباشا الى باريس للاشتراك بمؤتمر الديون العمومية ، وكان لبنان ، بعد ان اصبح جمهورية ، مدعواً للاشتراك بهذا المؤتمر .

واغتنم المنتدبون ، مع الطامعين برئاسة الوزارة ، فرصة غياب الرئيس ، فهدموا «الهيكل» .

ودعي مجلس النواب الى الاجتماع ، فاجتمع ..

وشن النواب هجوما عنيفا على الوزارة ، وعلى رئيسها الغائب ، واسقطوا الوزارة .. ونصبوا الشيخ بشاره الخوري ، الذي كان وزيرا للداخلية في وزارة الباشا ،



رئيسا للوزارة الجديدة ..

وهكذا ، ذهب اوغست باشا الى باريس رئيسـا للوزارة ، وعاد منها «باش بزق» .

ومنذ ذلك اليوم ، بدأ الخلاف الشديد بين اميل اده وبشاره الخوري ، وقد كانا ، قبل ذلك صديقين حميمين.

وكان الشاب بشاره الخوري يعمل محاميا في مكتب اميل اده . وبدأ اميل اده يرى في المحامي الشاب ، رئيس الوزارة الجديدة ، منافسا خطرا له على رئاسة الجمهورية.

ومنذ ذلك اليوم ايضا ، بدأ بشاره الخوري يفكر بانشاء حزب ، او بالاحرى ، بانشاء كتلة برلمانية ، وبدأت فكرة الكتلة الدستورية تلمع في رأسه .. وقد استمر الخلاف بين الرجلين الكبيرين طيلة عهد الانتداب .

وما ان استتب الامر للشيخ بشاره الخوري ، وما ان اصبح رئيسا للوزارة ، حتى بدأ ينظر الى البعيد البعيد. وبدأ نجمه يسطع ، لاسيما بعد ان استطاع ان يجمع حوله زعماء بيروت امثال : الفتال ، وفرعون ، وشيحا...وبعد ان التف معظم النواب حوله ، نعمت وزارته بتأيد الاكثرية الساحقة من النواب .

الا ان اميل اده لم ينم على الضيم ، بل هو راح يعمل على تقويض دعائم الوزارة .

واستطاع اميل اده ان يستميل اليـه رئيس المجلس

التيابي ، الشيخ محمد الجسر ، كما استطاع ان يجابه جبهة بشاره الخوري البيروتية بجبهة مثلها ، فحظي بتأييد الحي السرسقي ، والتف حول اميل اده ابناء سرسق الاثرياء ، الوجهاء ، اصحاب الكلمة النافذة ، والجاه العريض ، لاسيما واميل اده كان صهر الحي السرسقي . واستطاع اميل اده ان يزحزح بشاره الخوري عن رئاسة الوزارة ، وان يقفز الى مكانه . فقد استقالت وزارة الشيخ بشاره الخوري ، في الحادي عشر من تشرين الاول من عام ١٩٢٩ ، لتحل محلها وزارة اميل اده .

واستهل اميل اده اعماله في الوزارة بالثورات .. ثورة على مناهج التعليم . ثورة على الادارة . ثورة على الاقتصاد . ثورة على الفرنسيين انفسهم . مما أهاب برئيس الجمهورية الى ان يلفت رئيس وزرائه للخطر الذي يهدده ، ويهدد معه رئاسة الجمهورية ..

ولكن اميل اده لم يكن يرى ذلك الخطر الذي يراه رئيس الجمهورية.وقال كلمته : اما ان نكون حاكمين ، ونمارس صلاحياتنا كاملة ، واما ان نذهب الى بيوتنا .

وكان ان ذهب اميل اده ووزراءه الى بيوتهم فاستقالت وزارته في مجلس النواب ، في العشرين من شهر شباط عام ١٩٣٠ .

وكلف رئيس الجمهورية اميل اده مجددا بتشكيل الوزارة . فراح الرجل الكبير يعمل على تشكيل تلك الوزارة . الا ان الفرنسيين راحوا يعملون على عرقلة مساعيه .. واستمرت الازمة الوزارية زهاء عشرين يوما، لم يؤلف خلالها اميل اده الوزارة ، ولم يدع غيره يؤلفها.. وانتهت الازمة بتكليف اوغست باشا اديب بتشكيل الوزارة ..

وعاد الباشا ، للمرة الثانية ، رئيسا للوزارة في عهد شارل دباس ، في الخامس من اذار عام ١٩٣٠ .

في ذلك العام .. عام ١٩٣٠ ، بدأ اللبنانيون يتحدثون عن استقالة رئيس الجمهورية ، او بالاحرى عن اقالته، وعن انتخاب رئيس جديد . وكان وراء تلك الاحاديث ، التي انتشرت في الاوساط السياسية ، والاجتماعية في لبنان يومذاك ، رجلان ، هما : اميل اده وبشاره الخوري، وكل منهما يطمع في ان يخلف شارل دباس في رئاسة الجمهورية .

وراح كل من ابن اده ، وابن الخوري يعمل ، في الخفاء ، على الوصول الى سدة الرئاسة .

وفيما المعركة محتدمة بين اميل اده وبشاره الخوري، وهي معركة صامتة ، الا انها حامية الوطيس ، ظهرت بدعة جديدة .. تلك البدعة هي اعلان لبنان امارة ، او ملكية..

اذن ؟ اذن ماذا ؟ اذن لا رئيس للجمهورية في لبنان ؟ بل امير ، او ملك .

وظهر منافس خطر للرجلين المتنافسين على الرئاسة : لبشاره الخوري ، ولأميل اده ، ذلك المنافس الخطر ، كان جورج لطف الله .

ولترشيح جورج لطف الله اميرا ، او ملكا على لبنان ، قصة طريفة بدأ تنسج خيوطها في مصر ، في القاهرة ، وانتهت في بيروت .

كان جورج لطف الله لبنانيا ، يعيش في مصر عيش بذخ ، وثراء ، واسراف ، وكان من كبار الاثرياء ، يقيم في قصر فخم ، ويجمع حوله عددا كبيرا من الانصار ، والاعوان ، ورجال الصحافة ، والسياسة ، والعلم ، يغدق عليهم المال دون حساب .

وما ان انتشرت شائعة اقامة الامارة ، او الملكية في لبنان ، حتى راح اصدقاء جورج لطف الله وانصاره يهيئون له الارتقاء الى العرش اللبناني . والتف رجال الصحافة ، ورجال السياسة ، حول جورج لطف الله ، واصبح قصره ـ قصر الجزيرة ـ الفخم المنيف ، ملتقى رجال الصحافة ، والسياسة ، يعقدون فيه الاجتماعات ، ويتداولون ، ويخططون ، ويرسمون من اجل وصول الامير الى العرش اللبناني . والامير العتيد ، مرتاح كل الارتياح

لما يخطط ، ويرسم الاصدقاء المخلصون الاوفياء ، ينثر عليهم الذهب ، ويجذل لهم العطاء فيسبحون بحمده ، ويمدحونه ، ويشكرونه .. وبالشكر تدوم النعم ..

وذات ليلة من ليالي شهر اذار ، عقد الانصار والاصدقاء اجتماعا مهما في قصر الجزيرة في القاهرة ، وترأس سيد القصر الاجتماع ، للبحث في امر الوصول الى العرش .. وقرّ رأي المجتمعين على ضرورة انتقال الامير العتيد من القاهرة الى بيروت ، لان رحى المعركة تدور في لبنان ، ويجب على من يخوضها ان يكون في الميدان ...

وكان جورج لطف الله نبيها ذكيا . وكان يعلم انه بحاجة الى رضى الفرنسيين ، للارتقاء العرش الجديد فعزم على ان يوطد علاقته برجال الانتداب . وأوفد بعض انصاره الى لبنان ليمهدوا له السبيل ، ويوطدوا دعائم علاقته برجال الانتداب . الا ان الوفد لم يوفق في انشاء العلاقة الطيبة بين الطامع في العرش وبين رجال الانتداب في لبنان . وعاد الانصار الى القاهرة كما ذهبوا «صفر اليدين» .. ورأى «الامير» ان يذهب الى النبع توا . لماذا يسترضي المنتدبين في بيروت ، وما هم سوى موظفين في حكومة باريس ، يؤمرون فيطيعون ؟ فليشخص اذن الى باريس ...

وشد «الامير» الرحال الى باريس ، حاملا معه الذهب ، واللآلىء ، والجواهر ، يتقدمه موكب من رجال

الصحافة والسياسة والاجتماع .. وحل موكب الامير في فندق فخم كبير من فنادق باريس وأحاط جورج لطف الله نفسه بهالة من العظمة والمجد ، محاولا الوصول الى وزارة الخارجية الفرنسية ، وانشاء صداقات ثابتة الاركان مع كبار رجال الوزارة غير انه لم يوفق في الوصول الى ما يصبو ويروم .

فاكتفى بانشاء صداقة متينة مع بعض موظفي الوزارة.

وكان بين الذين صادقهم جورج لطف الله في باريس «سكرتير» وزارة الخارجية ، الذي راح الامير يغدق عليه، وعلى زوجته الحسناء ، الهدايا النفيسة السخاء ، فأهداه سجادة أثرية ثمينة ، يبلغ ثمنها زهاء الف ذهبية ، كما اهدى زوجته عقدا من اللؤلؤ والماس ، يزيد ثمنه على الالفي ذهبية .

واستطاع ان يجذب الصحافة الفرنسية اليه ، بما يحمل من ذهب ومال . فراحت تلك الصحف تزين صفحاتها بصورة الامير اللبناني الجديد وتدبج الاقلام المقالات في وصف شهامة الامير ، ونبله ، وذكائه ، وسخائه . الا ان جميع هذه المظاهر لم تستطع ان تلفت الحاكمين في العاصمة الفرنسية الى جورج لطف الله .

وكان لا بد لموكب الأمير من أن ينتقل من فرنسا إلى لبنان . ولكن ، هل يغادر فرنسا صفر اليدين ؟ هل يسافر

الى لبنان دون ان يحمل معه لفتة كريمة من اولياء الشأن في وزارة الخارجية الفرنسية ؟

لا ... عليه ان يحمل معه الى لبنان امرا الى المفوض السامي بتنصيبه ملكا ، او اميرا على لبنان .

ورأى ان يصارح صديقه السكرتير بما يجول في خاطره .. وما الصديق سوى الرفيق وقت الضيق .

وقبل ان يغادر «الامير» باريس بأسبوع ، دعا صديقه السكرتير الى وليمة سخية عامرة . فهو لا يجهل المثل القائل «اطعم الفم تستحي العين» .. وبعد انتهاء الوليمة ، خلا جورج لطف الله بصديقه السكرتير ، ليسلمه «شيكا» يبلغ الف ذهبية ، ويقول : هذه هديتي المتواضعة اليك يا صديقي ، قبل ان اغادر باريس .

ودهش السكرتير الفرنسي للمفاجأة . لم يكن لينتظر مثل هذه الهدية السخاء . لقد غمره «الامير» بالكرم ، والنعمة ، والسخاء .. وهمس السكرتير ، ويده تقبض على «الشك» : هل استطيع ان اؤدي لسمو الامير اية خدمة قبل مغادرته باريس ؟

وطفت الابتسامة على شفتي جورج لطف الله .

وهمس : أجل يا صديقي ، لي اليك رجاء ، وأرجو الا تخيب رجائي هذا .

فتساءل السكرتير : بماذا يأمر سمو الامير ؟

قال : اريد كتابا من الوزير الى المفوض السامي في بيروت ، يأمره فيه بتنصيبي اميرا على لبنان .

ووجم السكرتير : ماذا يقول الامير ؟ هل جن ؟ وهل يستطيع ، وهو الموظف ، ان يسعى لدى الوزير الى اجابة طلب جورج لطف الله ؟

ولمس «الامير» الوجوم والذهول في السكرتير ، فقال : وانا اتعهد بتنفيذ مآرب فرنسا ، والمحافظة على حقوقها في البلاد .

ولم يحر السكرتير جوابا .. لم يستطع ان ينطق بحرف . فالمفاجأة عقدت لسانه ، وخلطت الكلمات على شفتيه .

وتابع «الامير» كلامه قال : وثق يا صديقي ، ان الامير لن ينساك يوم يعتلي العرش ، ويصبح امير البلاد .

وهمس السكرتير بعد صمت قصير : سأجرب ان اكون عند حسن ظن سمو الامير .

وكان السكرتير عند حسن الظن ، فقد عاد الى الامير بعد يومين حاملا اليه كتابا ، موقعا من وزير الخارجية ، الى المفوض السامي في بيروت ، يوصيه خيرا بصاحب السمو الامير جورج لطف الله ، ويطلب فيه الى المفوض السامي ان يستجيب طلب سمو الامير .

وكاد جورج لطف الله يطير من الفرح . لم تذهب

اتعابه في مهب الرياح ، ولا امواله وهداياه ذهبت سدى . لقد ضمن النجاح ، واصبح العرش في الجيب .

وحمل جورج لطف الله الرسالة ، وسار بموكبه الى بيروت .. وفي بيروت حل مع حاشيته في قصر شاهق رحيب في الحي السرسقي ، الحي الارستقراطي الرفيع من العاصمة اللبنانية . وكانت الزيارة الاولى التي قام بها ، زيارة قصر الصنوبر ، حيث يحل المفوض السامي على الرحب والسعة ، ولكنه لم يستطع ان يقابل المفوض السامي فاكتفى بمقابلة السكرتير ، وسلمه رسالة وزارة الخارجية يدا بيد .

وقال السكرتير : سأسلم هذه الرسالة لسعادة المفوض ، وأعين لك موعدا لمقابلته .

قال : متى سيكون ذلك الموعد ؟

قال السكرتير : سنتصل بسموكم هاتفيا ، ونبلغكم موعد المقابلة .

وعاد جورج لطف الله الى قصره ، واقام يرقب اتصال السكرتير ، وابلاغه موعد مقابلة المفوض السامي ، الا ان انتظاره طال فبدأ القلق يستبد به ويعصف في حناياه .

ورأى ان يتصل هو بالمفوضية ، سائلا عن مصير الرسالة . هل وصلت الى المفوض السامي ، ام لا ؟

وعاد الى قصر الصنوبر .. فاذا بالسكرتير يبادره

بالسؤال : كيف وصلت هذه الرسالة اليك يا سمو الامير؟

ودهش للسؤال • وأجاب : سلمني اياها سكرتير الوزارة •

وصمت السكرتير على وجوم • وعاد جورج لطف الله الى الكلام ليقول : هل وصلت الرسالة الى المفوض السامي ؟

قال : أجل •• وقد اعادها الى وزارة الخارجية في باريس لاجراء التحقيق •

فازداد الامير دهشة وهمس متسائلا : التحقيق ؟ ولماذا ؟

قال السكرتير : لان هذه الرسالة مزورة يا سيدي •

وذعر سمو الامير • ماذا يقول هذا السكرتير ؟ الرسالة مزورة ؟ هل اقدم سكرتير وزارة الخارجية على تزوير تلك الرسالة ؟

والجواب على هذه الاسئلة كان واضحا في عيني سكرتير المفوض السامي • الا ان جورج لطف الله لم يستطع ان يصدق ما يقول هذا السكرتير • فتساءل : هل انت متأكد مما تقول ؟

اجاب : اجل يا سيدي • لقد ابلغتنا وزارة الخارجية ان الرسالة مزورة • فالوزير لم يوقع تلك الرسالة ، ولا علم له بها ، وقد اجرت الوزارة تحقيقا سريا فاتضح لها

كل شيء •

قال الامير : ماذا اتضح لها ؟

فاجاب : اتضح لها ان صديقك السكرتير زوّر تلك الرسالة وزودك بها •

وعندئذ ، عندئذ فقط ادرك جورج لطف الله انه كان غبيا ، وان السكرتير الفرنسي خدعه • فقفل راجعا الى قصره ، نادبا تلك الاموال والهدايا التي اتحف بها سكرتير وزارة الخارجية في باريس ، وناعيا تلك الآمال الوارفة المذاب ، التي كان يعلقها على رسالة وزارة الخارجية للمفوض السامي • لقد كان سمو الامير يأمل ان تساعده تلك الرسالة على تسنم عرش الامارة اللبنانية ، فاذا بها تنقلب عليه ، وتعرقل مساعيه ، و«تسوّد» وجهه عند الفرنسيين في لبنان •

والحقيقة هي ان رجال الانتداب بدأوا يسعون للحؤول دون وصول جورج لطف الله الى منصب الرئاسة ، بعد ان اكتشفوا سذاجته في تلك الرسالة المزورة •

الا ان جورج لطف الله لم ييأس ولم يتوقف عن العمل في سبيل الوصول الى العرش ، بل هو مضى في مساعيه الحميدة وانصرف الى استمالة النواب ، وقد خيل اليه ، ان ما خسره في قصر الصنوبر ، سيربحه في البرلمان •

والنواب ، حرسهم الله ، ما ان اشتموا رائحة الذهب في قصر جورج لطف الله ، حتى اصبح ذلك القصر محط رحالهم وترحالهم ، يغدون اليه ، فيلقون عند رب القصر الحفاوة البالغة ، والترحيب البعيد ، والطعام الشهي ، والمال الوارف المدرار .

ومع اصحاب السيادة النواب ، تدفق على قصر الامير الكريم رجال الصحافة ايضا ، ونال الصحافيون من اموال الامير اكثر مما نال حضرات النواب الكرام فراح صاحب السمو ينثر على النواب ، وعلى الصحافيين ، «الجنيهات» المصرية دون حساب .. ولعل السياسيين والصحافيين اللبنانيين اعتادوا على الجنيهات المصرية منذ عهد جورج لطف الله...

واحتلت صور وأخبار سمو الامير الكريم الصحف اللبنانية ، واصبح اسمه «الملكي» على كل شفة ولسان ، من شفاه وألسنة رجال السياسة والصحافة ، ولم يأبه الفرنسيون لما يبذل جورج لطف الله من مال وجهود في سبيل الوصول الى المنصب العالي ، فهم يدركون ان الصحافيين والنواب لا يستطيعون تحقيق آمال الامير الكريم ، فلينعموا بماله اذن ، وسيكون بعدئذ لكل حدث حديث .

غير ان رجال الانتداب بدأوا يخشون نتيجة سخاء

ذلك الرجل الثري ، لاسيما وقد اصبح اكثر من نصف اعضاء المجلس النيابي الاصدقاء الاوفياء المخلصين له . فرأوا ان يصنعوا حدا لتلك المهزلة .

واذا بالمفوض السامي يدعو رئيس المجلس النيابي الشيخ محمد الجسر ، ليصارحه بأن المفوضية غير راضية عما يدور في قصر الامير من صفقات وعهود ووعود...

وقال المفوض السامي لرئيس المجلس : اذا كان نوابك يا حضرة الرئيس يأملون ان يصلوا بهذا الرجل القادم من القاهرة الى رئاسة الجمهورية ، فهم مخطئون ، لطف الله لن يكون رئيسا في لبنان ، ولا وزيرا ، ولا حتى نائبا .

وتساءل رئيس المجلس النيابي : من هو رئيس الجمهورية المقبل يا سعادة المفوض السامي ؟

واجاب المفوض : على النواب ان يجددوا انتخاب شارل دباس .

وكانت كلمة المفوض السامي كلمة الفصل .. وعاد الشيخ محمد الجسر الى المجلس ، ليعلن للنواب كلمة السر :«شارل دباس سيظل في الحكم». وبدأ النواب يهجرون قصر الامير ، وارفضوا عنه ، وابتعدوا .. وعلم الامير ان وراء ابتعاد النواب عن قصره ، رئيس المجلس النيابي ، فرأى ان يستميل الرئيس اليه .. وذات ليلة طرق

باب الشيخ محمد الجسر رجلان : احدهما صحافي لبناني، والثاني احد امناء سر جورج لطف الله ، وكانا يحملان معهما حقيبة جلدية ، وضعاها بين يدي الشيخ محمد الجسر قائلين : في هذه الحقيبة ثلاثون الف جنيه مصري . انها هدية الامير جورج لطف الله لعطوفة الرئيس .

وانتفض الشيخ محمد الجسر ، وتمتم : عودا بالحقيبة الى سمو الامير ، وابلغاه تحياتي العطرة وقولا له ان يحتفظ بماله ، وان ينزع من رأسه فكرة الامارة ، والعرش ، والتاج ، والصولجان .

وأبى الشيخ محمد الجسر ان يمد لتلك الحقيبة يداً، وأعادها الى الامير مع الشكر ...

وبعد ايام قليلة ، جدد مجلس النواب انتخاب شارل دباس ، الذي ظل رئيسا للجمهورية حتى عام ١٩٣٤ .

الفصل الثامن

في أواخر عام ١٩٣٣ ، بدأت معركة رئاسة الجمهورية الثانية ، بعد ان اشرفت ولاية شارل دباس على النهاية .

وبدأ الطامعون في الوصول الى سدة الرئاسة نشاطهم باستمالة النواب ، والسعي للحصول على رضى المفوضية .

وكان الكونت دى مارتل ، المفوض السامي في لبنان قد وصل الى بيروت في أوائل تشرين الثاني ، وبدأ يدرس أوضاع البلاد ، فحاول المرشحون للرئاسة اكتساب «بركته» وكل منهم يطمع في لفتة كريمة من صاحب السعادة ، غير ان الكونت دى مارتل لزم الصمت فلم يعلن تأييده لأي مرشح منهم ، وهذا ما جعل معركة الرئاسة يومذاك تبلغ أوج الاحتدام .

وفيما المرشحون للرئاسة يسعون ، ويجدون ، ويستميتون في «تطبيق» النواب ، اذا بهم يفاجأون بقرار صادر من المفوض السامي ، يعلن تعليق الدستور ، وتعيين

حبيب باشا السعد رئيسا للجمهورية ، خلفا للرئيس شارل دباس ، لمدة سنة واحدة .. ثم جددت رئاسة حبيب باشا سنة ثانية ، وظل الباشا رئيسا للجمهورية حتى ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٣٦ .

وفي ذلك العام — في كانون الثاني من عام ١٩٣٦ — شهد لبنان اروع وأعنف وأطرف معركـــة انتخاب رئيس للجمهورية . وكان ثمة مرشحان للرئاسة ، لا ثالث لهما : اميل اده ، وبشاره الخوري . وكان كل منهما يدعي انـه يحظى بتأييد المفوض السامي ... وصاحب السعادة المفوض السامي جالس على عرشه صامت ، لا يتكلم ، ولا يعلـن موقفه الصريح .

واشتد الصراع بين الرجلين الكبيرين . واستطـاع اميل اده ان يجمع حوله اثني عشر نائبا ، من الخمســة والعشرين نائبا الذين كانوا يشكلون المجلس النيابي . كما استطاع بشاره الخوري ان يجمع حوله اثني عشر نائبا . وبقي نائب واحد ، هو الياس سكاف ، خارج الميدان ، لا يميل الى ابن اده ، ولا يؤيد ابن الخوري ، وكان مـن الطبيعي ان ينشط المرشحان ، ويبذلان الجهود الجبـارة للفوز بتأييد النائب الياس سكاف ، وتأييده يعني الفوز بالرئاسة الاولى .

وحاول الياس سكاف ان يستوحي المفوضية ، قبل

ان يعلن موقفه الصريح ، الا ان الكونت دي مارتل ابى ان يوحي للنائب البقاعي ، فترك له الخيار وراح يراقب سير المعركة باهتمام كلي من قصر الصنوبر .

واحتدمت المعركة بين المرشحين الكبيرين . واشتـد التنافس على الفوز بصوت النائب الياس السكاف . وكلما اقترب موعد جلسة الانتخاب ، ازدادت قيمة صوت النائب سكاف . وكان باستطاعة المفوض السامي ان يضع حـدا للمعركة الدائرة الرحى . كان باستطاعته ان يوعز للنائب الحيادي ، بتأييد احد المرشحين . كان باستطاعة الكونت دي مارتل ان يقول للنائب الياس السكاف : انتخب اميل اده او ان يقول له : انتخب بشاره الخوري ، وينتهي كل شيء ، الا ان المفوض السامي اعتصم بالصمت ، ولم ينطق بحرف .

وكان المفوض السامي عازما على ايصال اميـــل اده لرئاسة الجمهورية ، الا انه كان يريد ان يوصله الى الرئاسة تعبا ، منهوك القوى . يريد ان يوصله محطما ... وقبل موعد الانتخاب بيوم واحد ، بدأت كفة بشاره الخوري تميل على كفة اميل اده ، عندما استطاع انصار الشيـــخ بشاره اقناع الياس السكاف بتأييد مرشحهم ، فانتقل النائب الى دار الشيخ بشاره ليعلن له تأييده .

ووصل النبأ الى انصار اميل اده فوجمـــوا : اذا

استطاع الشيخ بشاره استمالة ابن السكاف ، فقضى على امل اميل اده في الوصول الى سدة الرئاسة القضاء المبرم، واندفعوا في اثر الياس السكاف ، واستطاعوا ، بعد جهد، ان يقنعوه بالانتقال من صف بشاره الخوري الى صف اميل اده • وقيل يومذاك : ان الياس السكاف تقاضى ثمن انتقاله ، وكان الثمن باهظا •••

وكان للمفوض السامي الكونت دي مارتل الفضل الكبير في انتقال النائب السكاف من جبهة بشاره الخوري الى جبهة اميل اده •

وانتخب المجلس النيابي اميل اده رئيسا للجمهورية باكثرية صوت واحد • نال بشاره الخوري اثني عشر صوتا ونال اميل اده ثلاثة عشر صوتا •• وأصبح اميل اده رئيسا للجمهورية اللبنانية ، في العشرين من كانون الثاني عام ١٩٣٦ • واستمرت رئاسته حتى الرابع من شهر نيسان عام ١٩٤١ •

•••

كان عهد اميل اده ، عهد عمل وتنظيم ، عهد انشاء دولة • وكان اميل اده يحاول ان يمارس صلاحياته كرئيس للجمهورية ، الا انه كان يصطدم ، من حين الى اخر، برجال الانتداب ، فيثور عليهم ، ويلجأ الى وزارة الخارجية

الفرنسية في باريس شاكيا متظلما • وتنتهي ثورته بالعودة الى الحظيرة • ويعود المنتدبون الى مد سلطانهم ، ونشر نفوذهم ، وممارسة صلاحياتهم الواسعة الشاسعة ، البعيدة المدى ، العميقة القرار •

واختفت اسماء جميع ابطال هذه الرواية• نهاد العاطي ازوى في داره ، بعد ان تخلى عن حزبه ، وتلاشى حلم الوصول الى الرئاسة الاولى في نفسه ، وراح نهاد يعمل على الوصول الى النيابة ، بعد ان فشل في الوصول الى رئاسة الجمهورية ، وقد استطاع نهاد ان يصل الى النيابة، ومن النيابة ، استطاع ان يصل الى الوزارة في عهد الاستقلال ••

وجورج لطف الله عاد الى قصره في القاهرة ، بعد ان اضاع في لبنان سمعته وماله •• والسيدة سرسق اقامت في قصرها الفخم، تستقبل اصدقاءها الفرنسيين واللبنانيين، وتقيم لهم المآدب والحفلات، بعيدة عن السياسة والاحداث•

وكلوديت زوجة الكومندان بوكار ، ازوت في دارها ، وقد وقفت حياتها على زوجها ، وعلى ابنتها الحبيبة شارلوت •

وكانت شارلوت قد درجت في الثامنة عشرة من العمر ، على فتنة ، وروعة ، وجمال • وكانت تندفع الى

ممارسة الرياضة ، لاسيما التزلج ، والتزلج يومذاك في مطلع عهده ، وجبال الارز بدأت تشهد قوافل الفرنسيين واللبنانيين يغزون ثلوجها ، ويندفعون فوقها على فرحة وبهجة وانطلاق •

وذات يوم من ايام شهر نيسان عام ١٩٣٨ ، خلعت الشمس الذهبية الدافئة نورها المحموم على جبال الارز المكللة بالثلوج، ورقدت الجبال بين أحضان الثلوج البيضاء، كأنها حسناء فاتنة ترقد ليلة عرسها في فراشها الحريري الناصع البياض • وذابت مهجة الثلج الطهور تحت قبلة الشمس الحمراء فجرت ينابيع وانهارا تترنم في وديان لبنان بأناشيد الحرية ، وأغاني الخلود...والاطيار طربت لانقشاع الغيوم ، فراحت تستحم بنور الشمس الدافيء المحيي السخي • اما الارز فقد ثقلت اغصانه بالثلوج، وراح ينشر العبير، معطراً الجبال والوديان بأريجه العاطر الفواح.

وشارك الانسان الطبيعة فرحتها الطلقة ، فاندفع عشاق الرياضة الى جبال الارز ، يمتطون الزحافات ، ويتزحلقون فوق الثلج ، غير عابئين بالمخاطر ، والاهوال الكامنة لهم فوق كل صخر ، وتحت كل منحنى ، وفي سفوح القمم ، والتلال المنتشرة في تلك الجبال الخالدة •

ونعمت جبال الارز ذاك الصباح بالقهقهات وبالاغاني•

فثمة تحت اغصان الارز الخالد جماعة من الفتيات والفتيان، يطلقون لأحاديثهم المرحة العنان • وهناك ، فوق ذلك الصخر النائي ، شاب وفتاة يشاركان الطبيعة فرحتها وابتسامتها وانطلاقها • وهنالك ، هنالك في المنحنى البعيد، ضمة من فتيات فاتنات ينشدن الاناشيد، ويترنمن بالاغاني• والكل غرق في يم من السعادة ، والهناء ، والافراح •

واختلفت لغات القوم ، زائري جبال الارز ، باختلاف جنسياتهم • الا ان العربية ، طغت على جميع اللغات ، واللبنانيون كانوا في طليعة المتزحلقين ، وفي مقدمة البارعين المتشددين • الا ان الفرنسيين والفرنسيات جاروا اللبنانيين في اهازيجهم ، وتعاريجهم وأحاديثهم ، فكانوا ينتشرون في انحاء جبال الارز على فرحة ، وبسمة ، وانطلاق •

وراح الفرنسيون يغامرون في اندفاعهم فوق الثلوج، فيتسلقون القمم، والروابي العالية، ثم يتدحرجون متزحلقين الى اسفل الوادي ، كعجلات سيارة مسرعة في المسير ، او كعاصفة هوجاء تغمر البطاح ، والوديان ، والتلال •

وفيما المتزحلقون ينغمسون في نشوتهم وهنائهم ، رجعت الجبال والوديان صدى صيحات استغاثة داوية :

«الي !•• الي !•• رحماكم الي !••»

ودلت نبرات الصوت ولغته ، على ان المستغيثة فتاة فرنسية ، فتطلعت العيون الى مصدر الصوت ، وقد وجفت القلوب ، وهلعت النفوس : ماذا ؟ من تكون المستغيثة ؟

واستقرت العيون على مشهد مروع هائل ! شارلوت ابنة الكومندان بوكار ، تتدحرج فوق الصخور والثلوج ، لقد زلت بها القدم ، وهي تتزحلق ، فهوت ، وتدحرجت الى منحدر سحيق واذا بها تلتطم بتلة من الثلج ، فتجتازها الى هاوية عميقة سحيقة •

واندفع الجميع الى حيث استقرت الفتاة الفرنسية الحسناء ، ووقفوا عند شفير الوهدة العميقة على حيرة واضطراب • كيف يمكنهم الوصول الى حيث استقرت شارلوت ، والوهدة عميقة بعيدة ، تغمرها الثلوج ، وتحتلها الاشجار ، والاشواك ، والصخور ؟

وطالت وقفتهم ••• وكانوا يسمعون انين الفتاة الفرنسية واستنجادها ولا يستطيعون ان يمدوا لها يد المساعدة والانقاذ • انها لا تزال على قيد الحياة ، ولكن هل يقدر لها ان تعيش ؟ ام تراها سائرة الى الضريح ؟ من المؤكد ان الموت ينتظر شارلوت بوكار • فهي ان لم تمت متأثرة بالجراح ، وبالرضوض ، فستموت خوفا وجزعا : قبل ان يتمكن احد من الوثوب الى الوهدة العميقة الغور وانقاذها ، هذا اذا وجد من يخاطر بحياته ، من اجل

شارلوت ، في الوثبة المميتة الخطرة •

ووقف اصدقاء شارلوت وصديقاتها ، ورفاقها ورفيقاتها جازعين : ويلهم ، ما عساهم يفعلون ؟ كيف يمكنهم نجدة صديقتهم شارلوت ؟

وتطلعوا الى بعض على حيرة وألم وجزع •• وفيما هم على ارتباك وذهول ، وثب فتى الى الجماهير المحتشدة على شفير الوهدة ، يشق الصفوف •• وتطلعت العيون الى الفتى المقدام ! من يكون هذا الفتى ، الطويل القامة ، الجميل الوجه ، العريض المنكبين؟ وعرفه ابناء تلك الانحاء : هذا نزيه الكيال ، احد ابناء الارز الميامين •

واندفع نزيه نحو الوهدة يروم الوثوب ، الا ان اصدقاءه ، وهم يعرفونه مغامرا جريئا ، وقفوا دونه ، ودون الوهدة الفاغرة الفوهة. قالوا: لا يا نزيه، إياك والمجازفة في الوثوب الى هذه الوهدة العميقة الغور ، ما لك ولهذه الفرنسية ! فلينجدها سواك ، ها هم ابناء قومها الفرنسيون يقفون على تردد وذهول • لماذا لا يندفعون الى نجدة ابنتهم ؟ تعال ••• تعال •••

الا ان نزيها لم يعرهم اذنا صاغية • بل هو وثب الى الوهدة النائية ، المفزعة ، الرهيبة•••ووقف الجميع على هلع واضطراب وتهامسوا : مجنون • هل يقدر له انقاذها؟ او بالاحرى ، هل تقدر له النجاة ، وقد ألقى بنفسه بين

اشداق عزرائيل ؟

وحامت العيون حوله على امل واهٍ ضئيل • واذا بالشاب يصل الى حيث تنطرح الفتاة الفرنسية فوق الصخور وتحت وطأة الالم والجراح • وانحنى عليها يرفعها الى كتفه محاولا الصعود بها من تلك الوهدة ، الا انه عجز عن الصعود ، فالاشواك ، والصخور ، والثلوج تسد عليه الطريق • من المستحيل ان يتمكن نزيه الكيال من الصعود بالفتاة الجريح • وقد يكون من المستحيل ايضا تمكنه من النجاة بنفسه ، والصعود من تلك الوهدة النائية البعيدة •

وعلت اصوات الاصدقاء في اضطراب وقلق : اتركها حيث هي ، وانج بنفسك يا نزيه • اصعد •• عد •• ارجع •

غير ان نزيها لم يعد ، ولم يصعد ، ولم يرجع • بل هو راح يسعى جاهدا للصعود بالفتاة •• وجاهد ، فراح يتسلق الصخور ، والفتاة على كتفه ، غير عابئ بالاخطار المحدقة به • وكاد يصل في تسلقه الى اعلى الوهدة • الا انه ، وقد زلت به القدم ، هوى متدحرجا فوق الثلوج •

وخيل للجميع ان المغامرة فشلت • هو سيموت مع الفتاة • لن يتمكن من النجاة • أنّى له ان ينجو من بين انياب الوهدة ، والعصفور يعجز عن النجاة ، اذا قدر له السقوط فيها . . . وأسرعوا إلى حبل متين يلقون به إلى الشاب . فاستطاع نزيه أن يتمنطق بالحبل مستعيناً به على استئناف الصعود بالفتاة الجريح

وراح يتسلّق بها صخور الوهدة ، وثلوجها ، وأشواكها ، فهو حيناً فوق صخر ناتىء ، وحيناً فوق كومة من ثلوج ، وحيناً في حفرة عميقة ، ولم يهن منه العزم ولا وهت منه القوى . نزيه الكيال لن يعود إلا والفتاة الفرنسية معه . سيف عزرائيل لن يقطع هذا الغصن النضير ، قبل أن يقضي على نزيه الكيال .

وبالرغم من آلامه المبرحة التي تغمره بها الرضوض والجراح فقد راح يسير صعدا ، في طريق النجاة ، وهو يحمل شارلوت على كتفه • وتمكن بعد جهد كبير من الوصول الى اعلى الوهدة ، ولم يبق بينه وبين النجاة سوى خطوات قليلة • الا انه شعر بالوهن والعياء وكاد يسقط ثانية الى قعر الوهدة • وعاد الى النضال والجهاد ، ومد يده الى الواقفين على الشفير جزعين ، مضطربين ، فامتدت الايدي الى يد الشاب تشدها •• واذا بنزيه الكيال ، وبشارلوت بوكار ، في مأمن من كل خطر •

وكانت شارلوت تغرق في اغماء شديد ، اما نزيه فقد ارتمى فوق الثلوج واهي القوى ، محطم الاعصاب ، وكانت الدماء تسيل بغزارة من يديه ، ورجليه ، ورأسه •

وأسرع الجميع الى الاثنين ، الى نزيه والى شارلوت ، ينقلونهما الى سيارة ، ويطيرون بهما الى مستشفى

«البيسار» في طرابلس ، وأسرع الاطباء الى نجدة الفتاة الفرنسية ، والشاب اللبناني •

وأسرع الكومندان بوكار وزوجته الى المستشفى في طرابلس على هلع وخوف واضطراب •

ووثب الكومندان بوكار الى الطبيب يسأله بقلق :

أتكون ابنتي في خطر يا سيدي ؟

ولم يجب الطبيب بحرف ، مما زاد في خـــوف الوالدين وهلعهما •

وانسابت الدموع على وجنتي الأم القلقة ، في حين اخذ زوجها يرجو الطبيب ان يسمح لهما بمشاهدة ابنتهما ••

ونظر الدكتور يسار الى الوالدين القلقين نظرة اشفاق• ابنتهما في خطر ، الموت يحوم بأجنحته السوداء حـــول سريرها • ولكنه لم يستطع الا ان يتمتم : الأمل بالله كبير، ايها الكومندان •

واشتد الذعر بالوالدين وهدرت كلوديت : وأمل العلم ، والطب ، يا دكتور ؟

قال الطبيب : علينا ان نبذل الجهود ، ونتكل على الله •

وأدرك الكومندان بوكار ، من خلال كلمات الطبيب المقتضبة ، ان وحيدته في خطر • واشتد الذعر بزوجتـه فراحت كلوديت تلطم وجهها ، وتولول • ابنتي •• ابنتي•

انها كل ما املك في هذه الحياة ، ايها الطبيب • ارجوك ، ايها النطاسي ، انقذ ابنتي • اعدها الي ، ولك مني ما تشاء••

فهدأ الطبيب روعها •• وانصرف الى تضميد جراح الفتى والفتاة • الاثنان في خطر • شارلوت مصابة بجراح مميتة ، ونزيه مصاب بكسور ، ورضوض قاتلة •• وبـدأ الأمل يتغلب على اليأس في نفس الطبيب ، وفتح الباب امام الكومندان بوكار وزوجته ، فوثبا الى ابنتهما ، والدموع تجول في عيونهما •

وأقام قرب سرير شارلوت والدها ووالدتها وصديقهما، اليوتنان فوابو ، وهو ضابط فرنسي غني ، يتمتع فـــي قصر الانتداب ، بمركز مرموق رفيع ، ويميل الى الاقتران بشارلوت •

اما نزيه الكيال ، فقد اقامت قرب سريره والدتـه العجوز باكية نائحة : نزيه ! يا حياة امك يا نزيه • ليتني مت ، قبل ان اراك يابني على هذه الحال •

وأقبل الطبيب يسلخها عن وحيدها قال : وجودك الى قربه يزيد في آلامه ، ويحول دون شفائه العاجل • اخرجي من هذه الغرفة يا ام نزيه •

وخرجت العجوز مرغمة ، وراح الطبيب يعمل على معالجة الفتى ، وفتح نزيه الكيال عينيه ، بعد معالجـة طويلة ، وهمس : الفتاة ؟ ماذا حل بها ؟

وتمتم الطبيب : لقد نجت بفضلك يا نزيه • اطمئن•

وعاد الطبيب الى الفتاة الفرنسية ، واستطاع ان يدفع عنها شبح الموت •• واذا بالفتى اللبناني ، وبالفتاة الفرنسية يسيران في طريق العافية والشفاء • فالشباب العامر الجسدين ساعد على دفع الخطر عنهما •

ورغب نزيه الكيال في رؤية الفتاة الفرنسية ، للاطمئنان عليها • وطلب الى الطبيب ان يسمح له بمغادرة السرير لزيارة الفتاة ، وابتسم الطبيب وهمس : لا بأس• يمكنك ان تزور من انقذتها ، ودفعت عنها الموت •

وقاده الطبيب الى غرفة شارلوت • ووقف نزيه أمام سرير الفتاة باسما ، وتمتم : الحمد لله على سلامتك ايتها الانسة •

ورمقت شارلوت نزيها بنظرة واهية • من يكون هذا الشاب المعصوب الرأس ، المكسور اليد ، المهشم الوجه ؟

ورأى الطبيب ان يجلو لها الحقيقة قال : الا تعلمين من يكون الفتى يا شارلوت ؟ هو نزيه الكيال ، من اقدم على المجازفة بحياته من اجلك • ما كاد يراك تتدحرجين الى الوهدة العميقة الغور ، حتى وثب ينتشلك منها، ويدفع عنك الخطر الداهم والموت الرهيب في حين كنت انت في اغماءة بعيدة سحيقة •

فمدت شارلوت بوكار يدها النحيلة الى نزيه الكيال

تصافحه ، قالت : اذن ، انا مدينة لك بحياتي ايها السيد نزيه ؟

وشدّت يد نزيه ، يد الفرنسية الحسناء وتمتم : لم اقم بسوى واجب الانسانية المفروض ، ايتها الانسة بوكار • دفعني الواجب الى انقاذك فانقذتك • الحمد لله على سلامتك •

قالت شارلوت : •• وعلى سلامتك ايضا يا نزيه •

وأقام نزيه الكيال وشارلوت بوكار اسبوعين في المستشفى في طرابلس •• وتأصلت عرى الصداقة والمودة بينهما ، فاذا بهما صديقان حميمان •

ورأت شارلوت في نزيه فتى مثقفا رصينا ، انه على علم وافر ، وذكاء رحيب ، وهو ابن اسرة عريقة • مات والده منذ امد بعيد ، فانصرفت امه الى تربيته تربية صالحة ، والى تثقيفه ثقافة عالية في المعاهد الكبرى •

وخرج نزيه من تلك المعاهد بالبراءات التي تنطق بتفوقه، وبذكائه ، وراح يبحث عن عمل ، الا ان الاعمال كانت عزيزة ، صعبة المنال على اللبنانيين • فالفرنسيون ، وهم اصحاب الحل والربط في لبنان ، وفي سوريا ، كانوا يحتلون دوائر الدولة ، ومكاتب الشركات والمؤسسات •

اما الشباب اللبناني ، فكان يعاني ازمة بطالة ومرارة عيش •• ورأى نزيه الكيال انه من الصعب الوقوع على

الوظيفة المنشودة ، فانصرف الى زراعة اراضيه الواسعة الاطراف ، المنتشرة في اعالي جبال لبنان الشمالية ، وأمن الفاقة، واتقى العوز . فكانت اراضيه تدر عليه المال الوفير، وتؤمن له ولأمه العجوز ، حياة هانئة ، باسمة ، راغدة .

ووقفت شارلوت بوكار على اسرار منقذها نزيه الكيال ، خلال الاسبوعين اللذين قضتهما الى جواره في المستشفى الطرابلسي ، كما وقف نزيه ايضا على خفايا وأسرار الفتاة الفرنسية الحسناء .. وتوثقت عرى الصداقة بين الشاب اللبناني والفتاة الفرنسية .

ويوم اقبل الكومندان بوكار الى المستشفى برفقة الليوتنان فوايو ، للانتقال بابنته الى داره في بيروت ، اسرعت شارلوت الى غرفة صديقها ومنقذها لتقول له : سنفترق الآن يا نزيه ، لنلتقي غدا . انني لأرجو ان اراك في دارنا قريبا . الا تستحق زيارتك يا نزيه ؟

وهمس الشاب اللبناني الوسيم : سأتشرف بزيارتكم يا آنستي العزيزة ، ان شاء الله .

وأقبل والدها الكومندان بوكار يهز يد منقذ ابنته هامسا : انني لأشكرك باسمي ، وباسم زوجتي ، ونأمل ان نحظى بزيارتك ايها الفتى اللبناني النبيل .

ان الكومندان بوكار ليرتاح الى اية خدمة يستطيع ان يقدمها لك ، ليفي ما في عنقه لك من جميل .



الفصل التاسع

نزيه الكيال على هوى وشوق وحنين .. انه ليشتاق الى تلك الغادة الفرنسية الحسناء التي انقذها من الموت ، والتي اقام الى قربها في المستشفى طيلة اسبوعين .. واراد ان يشخص الى عاصمة لبنان السافرة الطروب ، اراد ان يطير الى شارلوت بوكار . الا ان اعماله الكثيرة، واشجاره المثمرة ، ومزروعاته ، كل تلك الاعمال ، وقفت دون نزوحه عن القرية الى بيروت .

وجلس نزيه الكيال ليطلق لأفكاره العنان . أتكون شارلوت مقيمة على ذكراه ؟ ام تراها نسيت ما كان منه في مخاطرته بحياته لانقاذها ؟ أتراها تحفظ له في قلبها ، ما يحفظ لها في قلبه ، من عاطفة صادقة ، وشعور عميق ، وشوق وحنين ؟

وراح نزيه الكيال يستعيد في خاطره ملامح الفتاة الحسناء . انها لفاتنة تلك الفرنسية الطويلة القامة، الجميلة

الوجه ، الذهبية الشعر ، الطلقة المحياء كل ما في شارلوت بوكار يفرض الخشوع ، والاحترام للجمال الصارع الرحيب .. وذهب نزيه الكيال بعيدا في افكاره ، فخيل اليه ان شارلوت قريبة منه ، تضمه الى صدرها ، وتبثه لواعج الهوى ، والحنين ، فاستسلم للحلم الفاتن الجميل على نشوة ، وخيال .. وأفاق من الحلم فجأة ، واندفع الى الحقل ، طاردا عنه تلك الاحلام النائية الرؤى ، البعيدة المنال ، وانصرف الى تقليم الاشجار ، وري المزروعات ، ممتعا نظره بمفاتن الطبيعة ، وبجمال الوديان ، والجبال ، والربى ، والوهاد . والطبيعة تنطق ابدا بالأحاجي البعيدة، وبالاسرار الخفية التي تعجز الشفاه عن النطق بها، وتتحطم الاقلام امام روعتها الفاتنة ، وصمتها الرهيب .

وحاول نزيه الكيال اقصاء طيف شارلوت بوكار عن خياله الا انه عجز فعادت لتتمايل في خاطره وتلوح لعينيه في كل ثمرة ، وفي كل سنبلة ، وفي كل زهرة ، وعند كل منحنى ، وجدول ، وصخر . وراح يناجي ذلك الطيف الجميل ، ويبثه حنين قلبه ، وأشواق فؤاده الولوع .

ورجع في المساء الى الدار . فقدمت له والدته الطعام . غير انه ابى ان يتناول العشاء ، ودخل الى غرفته، ليستلقي في سريره ، ويعود الى مناجاة شارلوت .. ماذا فعلت هذه الفرنسية الحسناء بالفتى اللبناني المزارع ؟ لقد

سحرته ، وفتنت فؤاده فأشعلت في صدره النار ، وأضرمت اللهيب .

وحاول نزيه الرقاد ، الا ان النوم جفاه فراح يتقلب في سريره الوثير ، وكأنه يتقلب على شوك وابر .. وطال سهاده حتى الفجر، ولم يستطع الى النوم سبيلا الا وخيوط الفجر الوردية ، تكحل مقلة الليل البهيم .. ونام نزيه، نام ليشاهد شارلوت عبر الاحلام تبتسم له ، وتهمس في اذنيه كلمات الهوى والهيام .. واذا به يستفيق على صـوت والدته: نزيه! قم يا ابني! . . قم. يا نزيه الشمس بدأت ترسل خيوطها من وراء الجبال.

فقد اعتادت ام نزيه ان تحمل اليه القهوة عند الصباح ، وتدعوه الى النهوض. . وأفاق نزيه ونهض .. وقدمت له الأم الحنون القهوة فراح يرشفها ويدخن ، والنعاس يثقل أجفانه . الا انه غالب النعاس فغلبه . ووثب مـن السرير ليرتدي ثيابه. . .سيعود الى الحقل ، وينصرف الى العمل ، العمل وحده يستطيع ان يبعد عن نزيه الكيال طيف الحبيبة الحسناء ، الممعنة في النوى والبعاد.

وراح نزيه الكيال يفكر وهو يرتدي ثيابه : مـاذا عليه ان يفعل ؟ هل يمضي في طريق العذاب ؟ ام يطير اليها الى بيروت ؟ ورنت في خاطره كلماتها ساعة الوداع :

«سنفترق الآن لنلتقي غدا .. انني لأرجو ان أراك في

دارنا قريبا .. ألا نستحق زيارتك يا نزيه ؟»

وابتسم ، وهذه الكلمات ترن في خاطره ، وعزم على ان يشخص اليها . غدا سيستقل السيارة ، ويطير بها الى العاصمة اللبنانية، الى دار الكومندان بوكار العامرة، فيرى فاتنته ، ويطفىء نار شوقه المضطرمة اللهب .

وفيما نزيه الكيال يطلق لأفكاره العنان ، ويمنـي النفس بالسفر الى بيروت، ومشاهدة حبيبة القلب والروح، طرق باب داره ، فأسرعت الوالدة العجوز تفتح البـاب وتقول : من ؟ من يكون الطارق ؟

واذا بها امام الفتاة الفرنسية الحسناء .. هذه هـي الفتاة التي انقذها نزيه من الموت ، والتي كاد يضحـي بحياته من اجلها .. هذه هي التي كانت تحتل في المستشفى الغرفة المجاورة لغرفة وحيدها .. ماذا تريد هذه الفرنسية منهم ؟ وما وراء هذه الزيارة المبكرة ؟ ألم يكفها ما حملت اليهم من مصائب ، وكوارث ، وأشجان ؟

ولم تستطع ام نزيه الا ان تبتسـم للفتاة.وهمست بفتور : اهلا وسهلا يا ابنتي .. تفضلي .. ماذا تريدين ؟

فتمتمت شارلوت بوكار باللغة الفرنسية ، الناتئـة الالفاظ ، السريعة النبرات ، كأنها محرك كهربائي سريع الاندفاع : نزيه .. اين هو نزيه .. اريد ان اراه .

ولم تفهم العجوز من كلمات الفتاة المتقطعة السريعة

الا كلمة «نزيه» • فقادت الفتاة الى غرفة الاستقبال ، ثم اسرعت الى ابنها منادية : نزيه ! تعال •• تعال يا ابني •

وهمس : ماذا تريدين يا امي ؟

قالت : تعال يا ابني • الفتاة الفرنسية هنا • لا اعلم ماذا تريد •• انها تنطق بأسمك على سرعة جارفة • تعال•• تعال •••

وتمتم نزيه بدهشة واستغراب: من ؟ الفتاة الفرنسية؟ شارلوت ؟

وشعر المزارع اللبناني بضربات قلبه تتصاعد سريعا، وشعر بقواه تخور ، وبوجهه تهيم على فرحة طاغية ثائرة• واسرع الى قاعة الاستقبال فاذا بشارلوت جالسة في صدر القاعة ، والابتسامة الندية تشع على الشفتين الحمراوين •

وهمس : الانسة شارلوت في داري ؟ أتخدعني عيناي ؟ هذا يوم سعيد ، لم ير نزيه الكيال يوما نظيره ، منذ ان ابصر النور •

فمدت ابنة الكومندان بوكار يدها البضة النحيلة ، تصافح نزيها هامسة : دعوتك الى زيارتنا فلم تلب الدعوة• فما كان مني الا انني جئت اليك ، لأشكرك على ما كان منك في انقاذي •

قال ، ويده تشد يدها : اهلا وسهلا بالآنسة بوكار• زيارتك احيت في قلبي موات الآمال ، واثارت في نفسي

ظلمات اليأس المدلهمة السواد •

وجلس قربها.وجاءتهما ام نزيه بالقهوة ، وبالاثمار ، فراحا يتحدثان أحاديث شتى ، وهي احاديث لا تتعدى نطاق الصداقة البريئة •

وتبرم نزيه الكيال بتلك الاحاديث ، كما ان شارلوت لم تكن مرتاحة اليها • وهي ما جاءت من بيروت الى القرية النائية البعيدة لتسمع من نزيه :«كيف الحال ؟ وكيف صحة والدتك ؟ ارجو ان يكون الكومندان بخير»•• هذه الكلمات لا تروي غليل القائمين على شوق ، وهوى ، وحنين •

واخيرا ، امسك نزيه بيد شارلوت ، ووقف قائلا : تعالي معي يا شارلوت الى الارز القريب • سنقضي نهارنا هناك تحت ظلال الارز الدائمة الاخضرار ، بين الصخور والثلوج في حضن الطبيعة الباسم الفواح •

ونهضت شارلوت • الف غرض مثل هذا الغرض يقضى•••وسارا، اليد باليد، الى السفح المغمور بالثلوج•• وحنا الارز الظليل على العاشقين المتيمين •• وجلسا تحت ظلال الاغصان الباسقة الخضراء.وهمس نزيه الكيال : شارلوت ، هل لي ان اطمع في الحياة قربك ؟ هل يمن الله على نزيه الكيال بالعيش ، مدى العمر ، قرب شارلوت ؟

وشدت يد شارلوت بوكار يد الشاب اللبناني الوسيم

وهمست : نزيه ! ماذا فعلت بي يا نزيه؟ انتم معشر الشرقيين سحرة ، تسحرون النساء وتسلطون عليهن الارواح ، فيخضعن لكم ويبتلن لمشيئتكم • أتكون سحرتني يا نزيه ؟ قل ماذا فعلت بشارلوت ؟ لم اكد أتوارى عن المستشفى ، وأنسلخ عنك ، حتى انتصب طيفك امام عيني، فكنت اناجيك وابثك اشواقي وحنيني ••

وليلة امس ، آه من ليلة امس يا نزيه ، حاولت الرقاد ، فلم استطع الى الرقاد سبيلا •

كنت اغمض عيني على طيفك ، وافتحهما على ذلك الطيف •

وشعرت بأنني على حمم ونار ، وتقت اليك •

وشعرت بأنني عاجزة عن الابتعاد عنك •

فما كاد الصبح ينبلج ، غامرا العاصمة اللبنانية بنوره الجميل ، حتى اسرعت الى سيارتي الخاصة استقلها وأطير اليك •

وهمس نزيه : شارلوت !

ما نزل بك من جراح نزل بي •

وما اصابك ليلة امس ، اصابني •

وما فعل الحب بك ، فعل بي • فكأن روحينا على اتصال دائم يا حبيبتي •

تقولين اني سحرتك !

لا يا شارلوت ، انا ما سحرتك ، ولا سلطت الارواح عليك ، كما تزعمين ، ولكن الهوى سحرنا نحن الاثنين • انني احبك • احبك بكل ما يستطيع ان يحب قلب، وهوى على هذه الارض •

وهمست : حبك قد لا يوازي ذرة من حبي يا نزيه• أحبك ، وأبذل في سبيل هذا الحب حياتي • هذه الحياة التي انقذتها من الموت ، فاصبحت ملكك يا حبيبي •

وبدأ هواة الرياضة يغشون جبال الارز •

وحامت النظرات النهمة حول العاشقين المتيمين •

فرأى نزيه ان يتقي تلك النظرات النائتة •

فأمسك بيد حبيبته ليقول : شارلوت ! تعالي •

وتمتمت : الى اين ؟

قال : ستعرفين الى اين •• تعالي •

وسارت قربه ، والفرح يغمر قلبيهما ، والسعادة تملأ روحيهما ، وتنير فيهما ظلام اليأس والقنوط •

وتسلقا السفح ••

وقادها نزيه الى مغارة فسيحة منزوية في سفح جبل الارز الجبار ••

ومن كوة ، تكاد لا تتسع لدخول الانسان ، دخل نزيه الكيال الى المغارة ، ودخلت شارلوت وراءه ••

ووقفت ابنة الكومندان بوكار على دهشة واعجاب.

الاشواك والاغصان تخفي مدخل المغارة من الخارج.

اما في الداخل ، فهي مفروشة بالازهار ، وبالاعشاب الخضراء ، وجدرانها موشاة بالأزهار والحشائش ، وتنفرج صخورها عن نوافذ صغيرة ، تطل على الجبال والوديان .

وتمتمت شارلوت: نزيه ! ما هذا القصر الجميل الذي شيدته لنا يد الخالق الجبار العظيم ؟

قال : هذه المغارة اكتشفتها العام الماضي .

وكنت أخلد فيها الى الراحة ، اطالع الكتب ، وأنظم القصائد .

وستكون هذه المغارة ملتقانا، ريثما تصبحين زوجة نزيه الكيال .

هنا لا تقع علينا عين ، ولا يعرف مقرنا احد .

انه لمأوى جميل ، كما ترين ، يخفينا عن عيون البشر، ويحنو على روحينا ، ويضم آمالنا وأحلامنا ، ويضيع فيه صدى همساتنا ، ووشوشاتنا ، وقهقهاتنا ، وأنيننا .

وطوقها بذراعيه .

فكأنه يخاف عليها .

كأنه يخشى ان تفلت منه .

وامتدت يدها الى شعره ، تداعبه بلطف وحنان .

وهمست :

احبك .. احبك يا نزيه ، بكل ما يستطيع قلب ان يحب ، ويهوى في هذه الحياة .

اسأل الله ان يمن علينا بالحياة معا .

اشهى اماني في الحياة ، هي ان اظل هنا قربك يا حبيبي .

فهمس : شارلوت : سنظل معا ، لن نفترق .

حبك اياي ليس بأقوى من حبي .

وهذا الحب المضطرم في قلبينا ، كفيل بان يجمعنا على هذه الارض .

ومن يدري، قد يستطيع هذا الحب الخالد ان يجمعنا هناك ، في السماء ايضا ، يا حبيبتي .

والقت برأسها الى صدره .

واغمضت عينيها وهمست : هكذا اريد ان اظل .

هكذا قربك يا نزيه .

قال : هكذا سنظل يا شارلوت .

لن تستطيع قوة على هذه الارض ان تفرق بيننا .

سنحيا معا ، هنا على هذه الارض ، وهناك ، ما وراء الافق البعيد الرحيب .

وأقام الحبيبان ، في تلك المغارة النائية الجميلة، طيلة النهار .

وعندما اصبحت الشمس على شرفة المغيب ، وقفت

شارلوت لتقول :

يجب ان اعود الى بيروت يا نزيه لئلا يقلق والدي وأمي علي.

سنفترق الآن يا حبيبي ، لنجتمع غدا .

صباح غد سأعود اليك .

وقادته بيدها ، خارجة به من المغارة، كما قادها بيده، داخلا بها اليها .

واستقلت شارلوت سيارتها .

وطارت بها الى بيروت ، وهي تفكر بذلك الشاب اللبناني الوسيم، الذي استطاع ان يغزو فؤادها، ويستولي على قلبها الندي الطهور .

وتعدد لقاؤهما .

وكانت تلك المغارة الواسعة الأطراف ، المعلقة في ذلك السفح ، بين الارض والسماء ، تحنو عليهما .

انها لقصر جميل شامخ ، يضم في حناياه الحبيبين المتيمين الهائمين .

ونعم الفتى اللبناني والفتاة الفرنسية بنشوة الهوى، وهناءة الغرام .

وخيل اليهما ان السعادة غمرتهما بجناحيها الوارفين.

وان حياتهما ستكون واحة خضراء ، رائعة الجمال .

وقد جهلا ان وراء كل ساعة من عمرنا ربوة من ألم.

ووراء كل يوم وهدة من تعاسة وشجن .

فكأن السعادة ما وجدت في الحياة ، الا لتخفي بين طياتها التعاسة والشقاء .

وهذه الحياة الغامرة البشر بنورها وبظلامها ، تهيم ابدا بالتناقض وبالأضداد .

فنحن لا نبتسم الا لنبكي ، ولا نفرح الا لنحزن ، ولا نحيا الا لنموت .

الفصل العاشر

«الليوتنان فوايو» يرغب في الزواج من شارلـوت بوكار .

هذا ما يعلمه معظم الفرنسيين المقيمين في لبنان وفي سوريا .

فالليوتنان فوايو صاحب كلمة مسموعة نافذة .

وكان الليوتنان فوايو يهيم بابنة الكومندان بوكار .

الا ان شارلوت كانت تتحفظ في اجابته الى هواه .

لم تكن شارلوت ، قبل ان تندفع في هوى نزيـه الكيال ، لتصد الليوتنان فوايو .

لم تكن شارلوت لتصده .

ولا لتجاريه في هواه .

كانت تعامله كصديق العائلة .

يزورهم فترحب به .

ويرافقهم في زياراتهم ونزهاتهم ، فتسايره وتبادله

المزاح .

اما ، بعد ان غزا نزيه قلبها ، فقد بدأت شارلـوت تتبرم بزيارات الليوتنان فوايو ، وتتهرب من التحـدث اليـه .

وشعر الضابط الفرنسي بانصراف شارلـوت عنه ، وأيقن ان ثمة ما يشغلها .

فاحتار ، وقلق ...

وازداد الضابط الفرنسي قلقا ، وقد علم ان شارلوت تخرج صباح كل يوم من دارها .

ولا تعود اليها الا في ساعة متأخرة من الليل .

وأحيانا تقضي ليلها خارج تلك الدار .

فأسرع الى والدتها السيدة كلوديت، يشكوها اليها.

قال : علمت ان شارلوت تقضي معظم وقتها خـارج الدار ، تخرج صباحا لتعود مساء ، وأحيانا لا تعود حتـى في المساء ، وهذا ما يسيء الى سمعتها ، والـى كرامتها ، ويطلق للألسنة الناهشة العنان يا سيدتي .

فأطلقت كلوديت بوكار ابتسامة صفـراء هازئة ، وهمست :

نحن في القرن العشرين ايها الليوتنان ، ولسنا فـي القرون الوسطى .

وهذا القرن وهب المرأة كل ارادة وحرية .

شارلوت على ثقافة عالية ، وتهذيب رحيب ، لا بأس ان هي خرجت من الدار ساعة تشاء ، وان هي عادت اليها ساعة تشاء .

انها لمطلقة الحرية في كل ما تفعل ، وفي كل مـــا تريد .

ووجم الليوتنان فوابو . ماذا تقول ام شارلوت ؟

انها لتطلق حرية ابنتها الى ابعد مدى .

هو لن يستطيع اقناعها بالحد من حرية شارلوت .

فلينصرف عنها الى زوجها .

لعل الكومندان بوكار ينصفه ، ويقف دون ابنته ، ودون تلك الحرية الجارفة الهوجاء .

ووثب الليوتنان فوابو الى والد شارلوت ، حاملا اليه ما يقول الناس في ابنته :

« وللناس ألسنة حادة ، ناهشة ، سامة ، لا ترحم يا سيدي الكومندان .

غيرتي على سمعتكم ، وعلى سمعة شارلوت ، تهيب بي الى مصارحتكم بكل ما يصل الى اذني .

ليس لشارلوت ، وهي ذات سمعة عطـرة ، وشرف اثيل ، وكرامة متناف ، ان تسلك سبيل الضلال .

وليس لها ان تقضي ايامها ، وبعض لياليها ، خـارج الدار ... »

وخيل اليه ان الكومندان سيثور على ابنته (ربما ثار على زوجته ان هي حاولت نصرة شارلوت ..

الا انه كان على خطأ مبين .

فقد أطلق الكومندان ابتسامة صفراء، . . . ابتسامة التي أطلقتها زوجته كلوديت ذاتها . . وقال :

ليس لنا ان نحد من حرية اولادنا يا صديقي

انت تعلم اي عصر هو عصرنا اليوم ، وأيـــة تنعم بها بناتنا .

اي غضاضة في انطلاق شارلوت ، ما دامت تسي الى معقل الشرف ، ولا الى نصاعة الكرامة ، و .

فأدرك الليوتنان انه اخفق في مهمته .

فلا والدة شارلوت نصرته عليها ، ولا وال ..

ماذا عليه ان يفعل ، ليعيد ابنة الكومندان بوكار الى حظيرته ؟

هو لا يستطيع ان يقف مكتوف اليدين ح انطلاقة حبيبته شارلوت .

فالغيرة تنهش قلبه ، وتحرق فؤاده الهائم الولوع..

هل يصارح شارلوت بما في قلبه ، ويطلب اليها ان ترأف به ، وترحم ، وتقيم في دار والديها لا تبرح منها ؟

ولكن بأية صفة يطلب منها ذلك ؟

فلا هو نسيبها ، ولا هو زوجها ، ولا هو خطيبها ؟

ماذا عليه ان يفعل اذن ؟

مـــاذا ؟..

فليكن خطيب شارلوت .. أجل فليكن ذلـــــك الخطيب ..

سيطلب يدها إذن! . . وعندما تصبح خطيبته، سيكون له معها حدث وحديث.

عاد الليوتنان فوايو الى صديقه الكومندان بوكـــار ليقول :

ايها الكومندان العزيز ، انا احب ابنتكم ، ويسعدني ان اطلب يدها ، راجيا الاّ تخيبوا املي ، والاّ ترفضـــوا طلبي .

وابتسم الكومندان بوكار لصديقه الضابط،وتمتم :

مع كل رغبتي في اجابة طلبك الان يا صديقي ، أراني مضطرا الى الوقوف على رأي ابنتي .

يجب ان اقف على رأي شارلوت في امر زواجها، فهي التي ستبت في الامر .

لها ان تقول : أجل .

ولها ان تقول : لا ..

وعلي ان اوافق على ما تقول . نحن الفرنسيين مـــا تعودنا تقييد بناتنا ، كما تعلم، لاسيما في القضايا العاطفية. لهن ان يخترن من ترتاح قلوبهن اليه .

قال الليوتنان فوايو :

متى اقف على جواب شارلوت، يا سيدي الكومندان؟

قال الكومندان بوكار :

غدا ان شاء الله .

الليلة سأتحدث الى شارلوت ، وأرجو ان احمل اليك غدا الموافقة .

انت تعلم اي مودة احفظ لك في صدري يا صديقي، وأي محبة اكن لك ، ويسعدني ان تكون الصهر العزيز .

وانصرف الليوتنان فوايو على امل باسم رحيب .

غدا ستصبح شارلوت خطيبته .

وقريبا ستكون زوجته المصون .

وله عندئذ ان يحميها من العيون النهمة الجائعة التي تحوم حولها .

وسيستطيع ، وقد اصبحت خطيبته ، ان يمنعها مـــن الخروج من دارها ساعة تشاء .

ونام الليوتنان فوايو على حرير .

وراح يحلم بالسعادة الوارفة الظلال ، التي ستبسط جناحيها على داره العامرة ، يوم تصبح شارلوت زوجتـــه الغالية الحبيبة .

وما ان أطل الغد ، حتى اسرع الليوتنان فوايو الى دار «عمه العتيد» ، الى دار الكومندان بوكار ، حاملا قلبه

اريد ان اعلم الى اين تسير ؟
والى من تتكلم ؟
لا تعودوا الي ، الا وانتم تحملون لي جميع أسرارها» .
فانطلق رجال الليوتنان فوابو فيإثر شارلوت بوكار.
ولم يلبثوا ان عادوا اليه ظافرين :
الانسة شارلوت بوكار تشخص كل يوم الى جبال لبنان الشمالية .
وهناك ، في احدى القرى المجاورة للأرز ، تجتمع بالشاب نزيه الكيال .
ــ نزيه الكيال ؟ ومن يكون ؟
قالوا : انه الشاب الذي أنقذ شارلوت من براثن الموت ، يوم سقطت وهي تتزلج ، في الوهدة العميقة الغور .
فوجم الضابط الفرنسي .
واتقدت نار الغيرة في قلبه ملتهبة السعير ، وقد كشف سر شارلوت بوكار .
نزيه الكيال اذن ، وراء رفض شارلوت الزواج منه.
الويل لنزيه الكيال ..
سيكون له حساب عسير عند الليوتنان فوابو .
وشخص الضابط الفرنسي الى جبال الارز ، الغارقة

ابدا في احضان الثلوج ، على هناة ودلال ..
ووصل الى اعلى جبال الارز ، الى حيث ينتشر المتزلجون والمتزلجات .
وراح يبحث عن نزيه الكيال .
فهو يعرفه .
وقد شاهده في المستشفى ، يوم عاد شارلوت .
ولم يطل به البحث . انه هناك .
لقد تراءى له نزيه يجلس بعيدا عن المتزلجين ..
ولكن نزيها لم يكن وحده ، كانت شارلوت قربه ..
واقترب منهما باتئاد خطى ، والغيرة تعصف بقلبه الولوع ..
وشاهدهما ، وقد اصبح على مقربة منهما ، دون ان يثير انتباههما .
شاهدهما يتحدثان ، واليد باليد ، والعينان بالعينين.
فكان يجن ...
انها تحبه اذن .
وعيناها ، الشاخصتان الى عينيه ، تنطقان بحديث الهوى ، وبيان الغرام ..
يا للمجرمة . تعرض عنه لتتمرغ في هوى فتى لبناني حقير .
وهمّ بشهر مسدسه وباطلاق النار عليهما .

سيصرعهما ، ويطفىء بدمهما اللهيب المستمر في فؤاده •

الا انه عاد الى صوابه ، ورصانته ، قبل ان تشهر يده المسدس •

من الجنون ان يطلق النار على العاشقين الهائمين في ذلك المكان ، وفي تلك الساعة ، على مرأى من تلك الجماهير المحتشدة فوق الثلوج •••

ان هو اقدم على تلك المغامرة ، حامت حوله العيون ، ودهمته الفضيحة ، وقبض عليه ، وجرد من رتبته العالية الرفيعة ، وسيق الى القضاء •

فالقوانين العسكرية الفرنسية صارمة شديدة •

وهو لا يجهل ماذا سيكون مصيره ، ان هو أقدم على اقتراف تلك الجريمة •

لا •• لا •• الليوتنان فوابو لن يهوي الى هذه الدركات •

ولن يغامر بمستقبله ، وبرتبته ، وبمنصبه ، وربما بحياته •

سيظل متربعا على قمة الانفة ، والشموخ •

لن يطلق النار على شارلوت ، وعلى نزيه بيده •

بل هو سيعمد الى الحيلة في القضاء على نزيه الكيال وحده ••

وبعد ان تفقد شارلوت الحبيب الكريم ، سيكون له معها شأن وحديث •

وأسرع الليوتنان فوابو الى زلاجة يمتطيها ، وينطلق بها فوق الثلوج ، متظاهرا باللامبالاة •

ورأته شارلوت ، فأدارت له ظهرها غير عابئة به •

ومر بالقرب منهما ، فلم تلتفت اليه •

وشاهدها تلتصق بالشاب اللبناني ، فطار صوابه • وكاد يجن •••

ماذا تفعل هذه الفتاة الفرنسية الوقحة ؟

انها لتخلع قلبه بهذه الوقاحة ، وبتهتكها، وفجورها•

ووثب الليوتنان فوابو الى شارلوت ، والغضب يعصف به ، والغيرة اللاهبة تعمي بصيرته ، وتثيره • وأمسك بيدها ، يسلخها عن نزيه ، ويصرخ بها :

تعالي الى هنا يا فاجرة •

وحاولت شارلوت التملص منه ، الا انها عجزت •

فما كان من نزيه الكيال الا انه وثب لنجدتها ••

ودارت المعركة بين الليوتنان الفرنسي والشاب اللبناني •

انها لمعركة شديدة طاحنة ، فالاثنان على قوة ، وشجاعة ، وبأس ••

وكاد نزيه يتغلب على الليوتنان •

فما كان من الضابط الفرنسي الا انه شهر مسدسه، محاولا اطلاق الرصاص على ابن الكيال .

الا ان نزيها استطاع ان ينتزع المسدس من يده، قبل انطلاق الرصاص ..

وراح الليوتنان فوايو يعمل على استعادة مسدسه، وتجددت المعركة .

وراحت شارلوت بوكار تناصر نزيها على ابن قومها مما زاد في حماس الضابط الفرنسي ، وفي غضبه .

وبدأ الفرنسيون ، المنتشرون في انحاء تلك الجبال ، يجمعون صفوفهم لنجدة الليوتنان فوايو .

وأسرع ابناء تلك الربوع الى نجدة ابن منطقتهم نزيه الكيال .

وكادت تدور معركة هائلة ، بين ابناء الشمال وبين الفرنسيين .

الا ان العقلاء من الفرنسيين ، ومن الشماليين ، وقفوا دون احتدام المعركة ، وسفح الدماء .

ففرقوا بين الضابط الفرنسي والشاب اللبناني .

ولكن ، بعد ان اصيب الليوتنان بكسر في يده ، وبجرح بليغ في وجهه .

وبعد ان اصيب نزيه بجراح وخدوش عدة.

وارتد الليوتنان فوايو مهددا متوعدا :

- ستكلفك غاليا هذه الوقاحة يا ابن الكيال .

فادار نزيه ظهره هازئا ..

وامسكت شارلوت بيده هامسة :

تعال .. تعال يا حبيبي . ما لك وله .

هذا رجل مجنون ، وليس لك ان تأبه للمجانين .

الفصل الحادي عشر

غصت جبال الارز وقراها برجال الأمن ••

انهم يبحثون عن الشقي نزيه الكيال ، الذي تجرأ فأهان ، وشتم ، وضرب الليوتنان فوايو •

وشعر نزيه الكيال بالخطر الداهم •

الفرنسيون ناقمون عليه ، وهم سيلقون به في غياهب السجون ، اذا قدر لهم ان يعتقلوه •

فليس بالامر اليسير التعرض لضابط فرنسي ، والحط من كرامته ، في ذلك العهد •

ورأى نزيه الكيال ان يتوارى عن داره ، ريثما يهدأ غضب اولياء الأمر •

فتبطن الظلام الدامس الى اعلى الجبل ، الى المغارة المعلقة بين الارض والسماء ، في سفح الجبل الشامخ المنيف •

وحل نزيه الكيال ، في تلك المغارة النائية ، على

طمأنينة ، وهناة ، وارتياح •

وكان يشاهد ، من تلك المغارة النائية ، الجند يحتلون القرى المجاورة ، ويندفعون في البحث عنه •

فيقهقه هازئا بهم :

مساكين ، أنى لهم ان يصلوا اليه ؟

انه لفي مأمن من خطرهم ، في معقله العالي البعيد•

وشعرت شارلوت بوكار بالموقف الحرج •

حبيبها في خطر ، وهي السبب في ذلك الخطر المحدق به •

ما عساها فاعلة ، كي تدفع الخطر الداهم عن حبيب القلب والروح ؟

عليها ان تنجد نزيها •

عليها ان تحميه ، وتدفع عنه كل اذى واعتداء ••

ما العمل ؟ ما العمل ؟

ليست تدري ما العمل •

وأسرعت الى والدها الكومندان بوكار مستنجدة لهفى ، ترجوه انقاذ نزيه •

فما كان من الكومندان الا انه وعدها خيرا •

واندفع الى اولياء الأمر طالبا اليهم الكف عن مطاردة الفتى اللبناني •

الا ان رجال الانتداب كانوا مصرين على التنكيل

بنزيه الكيال •

هذا الفتى أهان أحد ضباط الجيش ، ويجب ان ينال العقاب •

وحاول الضابط الفرنسي اقناع المتنفذين بالكف عن ملاحقة ابن الكيال ومطاردته • فعجز •

وعاد الى ابنته على خيبة امل ، وانكسار جناح •

ووثبت شارلوت الى والدها قائلة :

ماذا ؟ أتراك وفقت في دفع الأذى عن نزيه الكيال يا والدي العزيز ؟

قال ، والاسف يرتسم على جبينه :

لقد اخفقت في مهمتي يا ابنتي ، انهم مصرون على اعتقاله ، والتنكيل به •

وأرى انهم على حق في ما يرتأون •

يجب ان يقضوا على كل مشاغب ثائر متمرد ، والا عمت الفوضى البلاد ، واندفع المتمردون الى العبث بالامن، واشاعة البلبلة في لبنان •

ما لك ولهذا الفتى المتمرد العاصي ، الخارج على القانون ، ليس لنا ان نحول بين العدالة ، وبين هذا الشاب العابث بالأمن •

فتمتمت ، وقد اثار بيان والدها غضبها :

اذا كان لا بد من الاقتصاص ، فأنا فداء نزيه

الكيال •

فاضطرب الكومندان بوكار وقلق •

ماذا تقول شارلوت ؟

أتقيم من الفتى اللبناني المتمرد، على هوى وهيام ؟ دفاعها عنه ، وثورتها من اجل سواد عينيه ، يشيران الى انها تهواه •

من المؤكد ان شارلوت تهيم بنزيه الكيال •

والا ، فما يدعوها الى البذل والفداء ؟

واقترب منها ليقول بخبث ومكر ودهاء :

ولكن ، ماذا يدعوك الى هذا الدفاع عنه ؟

وأية صلة تربط بينك وبينه يا شارلوت ؟

فجابهت شارلوت المكر بالمكر ، والخداع بالخداع وهمست :

لا تنس ، ايها الكومندان بوكار ، ان نزيها انقذ ابنتك من الموت •

هذا الفتى له علينا جميل وافر ، وعلينا ان نفيه جميله •

لقد انقذني من الموت ، وبات علي ان انقذه من الاقتصاص والتنكيل •

فارتاح الضابط الفرنسي الى ما تقوله ابنته •

هي لا تهيم ، اذن ، بالفتى اللبناني •

ما هناك الا وفاء جميل ، لا اكثر ، ولا اقل •
والتفت الى ابنته ليقول :
لقد عملنا كل ما في وسعنا لدرء الخطر عن نزيه الكيال •
وحاولنا اخماد النقمة عليه فعجزنا •
وليس له ان يعتب علينا •
نزيه الكيال اعتدى على ضابط من ضباطنا ، ويجب ان ينال جزاء ما جنت يداه •
قالت : انه مظلوم ، وعلينا ان ندفع الظلم عنه •
قال : القضاء هو الذي يثبت براءته •
سيمثل امام القضاء العسكري •
فان كان بريئا اخلي سبيله •
وان لم يكن ناصع الجبين ، فالسجن مشرع الابواب امامه •
فلم تقتنع ولم تلن،قالت :
علينا ان نحول بينه وبين الوصول الى ساحة القضاء•
هو مظلوم •
مظلوم يا والدي
وعلينا ان ننجد المظلومين •
قال ، وهو يدير لها ظهره :
ليس لنا ان نحول دون نصرة العدالة يا شارلوت •

نزيه الكيال سيحاكم ، والكلمة فيه للقضاء العادل النزيه •
فأدركت انها اخفقت في انقاذ حبيبها •
ماذا عليها ان تفعل الان ، وقد باءت مساعيها في انقاذه بالفشل ؟
ليست تدري ••• ليست تدري •••
وانصرفت الى التفكير العميق ، تنغمس فيه على قلق، وحيرة وارتباك •
ورأت ان تشخص الى نزيه •
عليها ان تشاطره آلامه ، وعذابه ، فتكون بجانبه في محنته ، ومصابه •
هي السبب في كل ما نزل به •
وعليها ان تحمل معه العبء ، وان تقيم قربه ، فتشاطره كل ما يحمل من اعباء ، ومصائب ، وهموم •
واسرعت شارلوت بوكار الى قرية حبيبها ، الهاجعة على روعة وجلال ، بين تلك الجبال الشامخة الخضراء •
ووثبت الى دار نزيه الكيال •
فاستقبلتها امه العجوز بوجه مكفهر عبوس •
وهمست الأم الحزين بجفاء :
ماذا تريدين ؟
قالت شارلوت : نزيه ؟ اين هو نزيه ؟

ولم تجب الأم بسوى قلب الشفتين ، وهز الكتفين .
وهي لم تفهم ما تقول هذه الفرنسية ، ذات الوجه الشؤم .

وانطلقت ابنة الكومندان بوكار الى ساحة القرية ، تسأل عن مقر نزيه :

نزيه الكيال ، اين هو ؟

من تراه يرشدني اليه ؟

فأشاروا عليها بالانصراف .

واقترب احد ابناء القرية الخضراء منها هامسا :

اياك ان تتفوهي بهذا الاسم ايتها الآنسة الحسناء .

ها هم رجال الأمن يحتلون القرية ، ويفتشون دورنا ومنازلنا ، باحثين عن ابن الكيال .

لن تجدي بيننا من يستطيع ان يرشدك اليه ، ونحن نجهل مقره .

ليس ثمة من يدري اين استقر بنزيه الكيال المقام .

فوقفت شارلوت على وجوم ، وتفكير .

اين يكون حبيبي ؟

اين يكون ؟

ولمع في رأسها خاطر بعيد : المغارة ..

المغارة الكبيرة الرابضة في أعلى جبال الارز .

هناك حيث كانت تخلو بنزيه ، بعيدين عن كل عين .

نزيه هناك .

انه في المغارة .

ليس ثمة مكان الا المغارة يستطيع نزيه ان يحتمي فيه ، ويأمن شر رجال الامن .

ستشخص الى المغارة العالية ، وستجده هناك .

فترتمي بين ذراعيه ، وتغيب معه في عالم من الهوى والشوق ، والحنين .

وارتاحت بعض الارتياح ، وقد وصلت بتفكيرها الى هذا الحد .

وسارت بخطوات ثابتة عاجلة في الطريق الى المغارة .

وكانت الشمس قد بدأت تميل الى الغروب ، والرعاة يسيرون بقطعانهم الى الحظائر .

والاشجار الباسقة تنتصب كالاشباح على جانبي الطريق الضيق ، المنساب في الغابة الكثيفة الخضراء .

والوحشة تلف الربى والوهاد .

والطيور تحوم في الفضاء ، محاولة العثور على مأوى تبيت فيه .

والشمس المتأهبة للأفول تخلع على القمم البيضاء نورها الواهي ، الشاحب ، الكئيب .

وشارلوت بوكار تسير صعدا ، على سرعة واندفاع ، في الطريق الى المغارة .

ووصلت ••
وصلت الى أمام المغارة عند الغروب •
ووقفت امام بابها ، جازعة حيرى •
هل تدخل الى ذلك النفق الضيق الطويل ؟
ام تظل هناك في وقفتها ، وتنادي نزيها ••
ورأت ان تدخل •
نزيه هناك داخل المغارة •
ما عليها الا ان تسير خطوات قليلة في ذلك النفق ،
حتى تنتهي الى المغارة الرحبة ، الواسعة الارجاء ، وتصل
الى نزيه •
ووثبت الى مدخل المغارة تزيح الأشواك ، وتدخل ••
وخطت خطوات سريعة ••
وراحت تنادي : نزيه ! نزيه ! نزيه !
فاعادت حنايا المغارة الواسعة الأرجاء صدى صوتها
متكسرا على هينمات النسيم العليل ، وسكون الجبال ،
والوديان ، والتلال ، والسفوح •
وشعرت شارلوت بالرهبة والخوف •
يبدو ان نزيها ليس هنا •
والظلام بدأ يلف المكان النائي البعيد الرهيب •
عليها اذن ان تعود أدراجها •
وليس لها ان تدخل الى تلـــك المغارة الموحشة ،



الكئيبة ، السوداء .
وهمت بالعودة أدراجها ..
واذا بهمسات تتعالى قربها :
شارلوت ! تعالي .. اني هنا .
والتفتت ، لتشاهد نزيها قربها : نزيه ؟
وارتمت بين ذراعيه ، تجهش بالبكاء .
وتعانق الحبيبان .
وراح نزيه يكفكف دموعها فهمست :
نزيه ، يا حياتي ! انا السبب في كل ما حل بك يـا حبيبي .
ليتني ما كنت .
ليتني مت قبل ان احمل اليك المصائب ، والويلات.
قال ، وهو يضمها الى صدره :
كفى يا شارلوت .. كفى يا حبيبتي .
يكفيني في دنياي انك ما زلت تقيمين على حبي .
في سبيلك تهون التضحيات الجسام .
تعالي ، تعالي يا شارلوت ، تعالي اخبرني كيـف حالك ..
ما بك يا حبيبتي صفراء الجبين ، ذابلة العينين ؟
قالت : آه يا نزيه لو يمكنني ان احيا ابد الدهر هنا قربك ، هنا في هذه المغارة النائية عن البشر .

قال : امنيتك هي امنيتي يا شارلوت .
ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ..
انني لأخشى ان يفرق الدهر بيننا يا حبيبتي ، فيلقي بك في واد ناء بعيد ، ويلقي بي في واد اخر .
قالت ويدها تشد يده :
لا ... لن تفترق يا نزيه ، لن نبتعـد عن بعض . شارلوت تحبك حبا هائلا رهيبا ، لن تحب سواك ، لـن تحيا لسواك ، ولن تنظر الى سواك .
وألقت برأسها الجميل الى صدره .
وجنحت بأفكارها الى بعيد ، الى مستقبلهما .
ترى هل تجود عليهما الايام باللقاء المخضل الجناح، الوارف الظلال ، البعيد الهناة والصفاء ؟
وساد الصمت أرجاء المغارة .
فكان كل منهما يفكر في ما يفكر به الآخر .
مستقبلهما وحبهما ، وسعادتهما ..
بهذا يفكر الاثنان .
وكانت شارلوت قلقة الخاطر ، مضطربة البال .
فالتفت نزيه اليها ليقول :
شارلوت ! سنحيا معا الى الأبد يا حبيبتي .
لن تنفصل روحي عن روحك ، ولا روحك تنأى عن روحي . حياتنا لن تنتهي على هذه الارض ، يا شارلوت،

ولا حبنا سيضمحل الا باضمحلال هذه الفانية .

لا . يا شارلوت !.. الحب يمتد الى ما هو ابعد وأقصى من حياتنا الارضية .

والهوى ، يتجاوز الحياة الى الموت .

ما كل من مات فقد حبه .

ولا كل من اجتاز الابدية خسر شوقه وحنينه .

ان حياة الروح ، وهي حياة الحب والهوى ، والشوق والحنين ، تبتدىء عند باب الضريح .

احبك يا شارلوت ، وسأحبك حتى بعد الموت .

سأحبك حيثما كنت ، هنا على هذه الارض ، وهناك ما وراء هذه الارض ، روحي ستعانق روحك ، وشوقي سيظل حولك اينما كنت وحيثما حللت .

وانتشت شارلوت ببيان حبيبها ، النابض بالفلسفة والخيال .

وشدت يدها يده لتهمس :

نزيه ! تعال نفر من هذه البلاد .

تعال فنطير الى عالم اخر . الى اميركا ، الى ايطاليا ، الى بريطانيا ، الى الهند ، الى الصين ، الى اليابان ، الى حيث تشاء .

تعال نبتعد عن لبنان ، وفي لبنان يحوم الخطر حول حبنا الطاهر الشريف النبيل سنغادر لبنان بحراً .

سنجتاز هذا الازرق الرجراج الى بلاد بعيدة ، ونحيا معا في سعادة وارفة الظلال ، بعيدة المدى ، عميقة القرار .

فوجم نزيه الكيال .

ماذا تقول شارلوت ؟

أتدعوه الى الابتعاد عن لبنان ؟

عن هذه الارض الطيبة التي احبها ، ورواها بعرق جبينه ، وبدمه ؟

لا .. لا .. لا .. هو لن يبتعد عن لبنان . الموت في لبنان الحبيب ، ولا الحياة بعيدا عنه .

قال : لا .. يا شارلوت !.. لا .. انا لن ابتعد عن بلادي .

هنا ولدت ، وهنا سأموت .

قالت : سنعود يوما الى بلادك . سنعود يا حبيبي يوم تنقشع الغمامة السوداء ، ويتوارى شبح الخطر المحدق بك .

قال : ولكن .. امي .. ماذا سيحل بهذه الأم البائسة ، بعد ان يتوارى وحيدها عنها ؟

قالت : اطمئن ستكون في مأمن من كل خطر وعوز. سنترك لها من المال ما يكفيها ..

لا تخف يا حبيبي . لدي من هذا الاصفر الرنان ما

يكفينا ويكفيها سنين بعيدة .

اطمئن . لقد تدبرت كل شيء .

فانتفض وهمس :

لا يا شارلوت !.. أموالك ستظل في صندوقك ..

تزيه الكيال لديه من المال ما يكفيه ، ويدفع عنه شظف الحياة .

فهمست : اموالي هي اموالك يا تزيه .

وهل انا وانت سوى شخص واحد ؟

غدا سأتدبر امرنا .

سأتفق مع احدى شركات السفر على نقلنا من هذه البلاد الى بلاد نائية بعيدة ، حيث نحيا على سعادة وارفة، وهناء رحيب .

لن ادع رجال الليوتنان فوايو يصلون اليك

اذا كان لا بد من وصولهم . فلن يصلوا الا على جثتي ، يا حبيبي !..

وصمت تزيه ، وقد اقلقته خطة شارلوت ، وأثارت هواجسه .

ماذا عليه ان يفعل ؟

هل يوافق ؟

هل يسافر مع شارلوت ؟

ولم يستطع ان يجيب على السؤال ..

فالخطة المرسومة تضمن له النجاة من ايدي المتدنين الطامعين بإزاحة رأسه عن جسده ، انتقاما منه للضابط الفرنسي المغلوب على امره .

وتضمن له ايضا الحياة السعيدة قرب شارلوت .

وساد الصمت انحاء المغارة ..

وبدأ النعاس يداعب أجفانهما ، والليل قد خطا خطوات بعيدة .

فاستغرقا في نوم سحيق بعيد...

وما كاد الفجر ينشر وشاحه الزاهي فوق الثلوج والتلال ، حتى وثبت شارلوت الى حبيبها تزيه لتقول :

سأشخص الى بيروت الآن ، واعود اليك غدا ، او بعد غد ، لأمسك بيدك ونخرج من هذه المغارة ، الى عالم جديد ، وحياة هانئة سعيدة .

وسارت الى بيروت..

واتصلت باحدى شركات السفر ، تتفق واياها على السفر مع حبيب القلب والروح ، الى بلاد بعيدة ، لقاء مبلغ كبير من المال .

فهما سيسافران هربا من سلطات الانتداب .

فلا جواز سفر ، ولا تأشيرة ، ولا تصريح .. سفرهما سيكون هربا بصورة بعيدة كل البعد عن القانون .

ولذلك فالمبلغ المطلوب سيكون باهظا كبيرا ..

وتم الاتفاق على كل شيء • وتعهد مدير الشركة بايصالهما الى بلد بعيد ، بالسلامة •••

واطمأنت شارلوت • فالخطة اذن تسير في طريق النجاح •

وطارت الى حبيبها ، الى المغارة الهاجعة في اعلى جبال الارز ، تحمل اليه البشرى المفرحة السارة ، قالت :

غدا سننزح عن لبنان يا نزيه !•• سنفر من ايدي رجال الامن •

سنركب البحر الى بلد بعيد •

انا لا يهمني ذلك البلد •

المهم لدي ان اكون قربك •

حيث تكون انت ، هناك سعادتي وهنائي •

قال : ولكن كيف سيتم لنا الوصول الى بيروت ، ورجال الامن يطوقون هذه القرية ، ويقطعون علينا سبل الوصول ؟

قالت : اطمئن لقد اتخذت الحيطة يا حبيبي •

سأعود الان الى بيروت ، فأجمع ثيابي ، وأموالي، وحلي ، وأعود اليك غدا في الصباح الباكر ، فأنقلك في سيارتي الخاصة ، وهي سيارة فرنسية الرقم ، الى العاصمة اللبنانية ، حيث نستقل الباخرة ، فتتوارى بنا ، في المساء ، عن هذه البلاد •

وتعانقا على أحلام هانئة ، وأمان وارفة الظلال ، مخضلة الجناح ، بعيدة الرؤى والحنين •

وودعته على أمل اللقاء القريب •

قالت ، ويدها تشد يده بهوى وهيام :

الى الغد يا حبيبي •

قال : الى الغد يا حياة نزيه •

الفصل الثاني عشر

الليوتنان فوايو على ثورة ملتهبة حمراء .

لم يستطع رجاله الميامين اعتقال المجرم المتمرد نزيه الكيال .

والليوتنان فوايو لن تهدأ له حال ، الا وقد شفى غليل انتقامه من هذا الشاب اللبناني الوسيم ، الذي سلبه قلب شارلوت ، والذي تغلب عليه وحطم ذراعه ، وثلم كرامته المنيف ، وشرفه الاثيل .

وجمع الليوتنان فوايو رجاله وصاح بهم :

أتعجزون عن القبض على شقي فار ؟

لماذا تتقاضون المرتبات اذن ؟

نزيه الكيال اريده حيا او ميتا .

اما ان تأتوني به ، واما فالاقالة من مناصبكم بانتظاركم .

وبدا الليوتنان فوايو في ثورة لاهبة، عاتية، هوجا .

ودعا رجاله الى البحث عن نزيه الكيال في جميع قرى ومدن الشمال .

غير ان رجاله ، وهم رجال الامن ، اعلنوا له ان ليس ثمة قرية ، وما هناك مدينة في شمال لبنان ، الا وبحثوا فيها عن نزيه .

ولكنهم لم يعثروا له على اثر ، فكأن ابن الكيال طار بين الارض والسماء .

وانصرف الليوتنان فوايو الى التفكير :

اين يكون نزيه الكيال ؟

اين يختبىء ؟

الى اين لجأ ؟

وخطر في باله خاطر ارتعش له واضطرب .

أيكون نزيه الكيال في دار الكومندان بوكار ؟

أتكون شارلوت أخفت حبيبها في دارها ؟

انها تحبه .

من المؤكد انها تقيم منه على هوى وغرام .

فليس اذن ما يمنعها من اخفائه في دارها .

اذن ..

اذن ماذا ؟

اذن عليه ان يبحث عن غريمه في دار الكومندان بوكار .

ولكن ..

ولكن ليس من اليسير التفتيش في دار ضابط كبير مثل الكومندان بوكار .

من المؤكد ان السلطات الفرنسية لن تسمح بانتخرق حرمة دار ضابط من كبار ضباطها .

ماذا عليه ان يفعل اذن ؟

وكيف سيتوصل الى الوقوف على مقر ابن الكيال ؟

وعاد الى التفكير ينغمس فيه .

وطال تفكيره .

واخيرا ، وبعد تفكير طويل لمعت في خاطره فكرة ابتسم لها ..

ليس ثمة من يعلم مقر نزيه الكيال الا شارلوت .

شارلوت وحدها تعلم اين هو نزيه .

واذا تتبع اثر شارلوت ، وصل الى نزيه .

وارتاح كل الارتياح ، وقد وصل بتفكيره الى هذا الحد .

وعاد الى رجال الامن ليقول :

عليكم بمراقبة شارلوت بوكار ، حيث تتجه اتجهوا، وحيث تسر سيروا .

شارلوت بوكار ستقودكم الى مقر نزيه الكيال ، دون ان تدري .

وعمل رجال الأمن بأوامر الليوتنان فوايو •
وانصرفوا الى مراقبة شارلوت بوكار •
الا ان مراقبة الفتاة لم تهدهم الى نزيه •
ذلك لان شارلوت لم تكن لتخرج من دارها ، الا لتشخص الى جبال الارز •
وجبال الارز كانت محط رحال شارلوت •
فهي من المغرمات برياضة التزلج، والكل يعرف ذلك•
وعادوا الى الليوتنان فوايو يعلنون له الفشل في المهمة ، قالوا :
لم نعثر للشقي على اثر ولم تفدنا مراقبة الفتاة شيئا • فهي لا تتجه الى سوى جبال الارز للتزلج •
والتزلج ، كما يعرف حضرة الليوتنان ، هوايتها المفضلة •
فهدر الضابط الفرنسي :
اغبياء •• سيروا وراءها الى جبال الارز •
قد تقعون هناك على نزيه الكيال •
فانحنوا احتراما للأوامر السامية •
واندفعوا في اثر شارلوت بوكار ، يحصون عليها خطواتها ، ويفرضون عليها مراقبة قاسية شديدة •
ولم تكن شارلوت لتعلم ما يدور حولها •
فهي منصرفة الى الاهتمام بتهيئة السفر مع نزيه •

ويوم عادت من تلك المغارة الى بيروت ، على امل العودة في اليوم التالي الى نزيه ، لتقله بسيارتها الخاصة الى بيروت ، حيث يستقلان الباخرة الى الغرب ، يومذاك كان رجال الليوتنان فوايو في أثرها ذهابا وايابا •
ووصلت شارلوت الى الدار ، والليل يرخي سدوله على بيروت •
وأسرعت الى غرفتها تنزع عنها ثيابها ، وترتدي ثياب النوم ، وتندس في سريرها •
وأسرعت امها اليها ، والقلق يعصف بها ، وتمتمت كلودين :
ما بك يا ابنتي ؟
الا تريدين ان تتناولي طعام العشاء معنا يا شارلوت؟
فهمست : لا •• انا متعبة يا أمي ، لقد طال تزلجي اليوم ، واريد ان ارتاح • تصبحين على خير •
وهمست الأم : تصبحين على الف خير يا حبيبتي •
وانغمست شارلوت في فراشها الدافىء على احلام وارفة عذاب •
غدا ستمسك بيد نزيه وتطير واياه الى بلاد نائية بعيدة •
وتنقذه من الاخطار المحدقة به •
وحاولت النوم الا انها لم تستطع الى النوم سبيلا•

فالفرحة الطلقة أقصت النوم عن عينيها .
ولاح لها المستقبل مع نزيه فاتنا ، رائعا جميلا .
لاحت لها الايام مقبلة نحوها بيضاء بلون ثلج صنين ..
وانتشت بأحلامها وأمانيها العذاب .
ولم تعرف عيناها لذة الكرى ، الا وخيوط الفجر البعيد تكحل مقلة الليل بانوارها الوردية الرائعة .
واستفاقت ، وأشعة الشمس الذهبية تسكب ذوبها عبر زجاج النافذة على سريرها .
ورمقت الساعة المشدودة الى معصمها ، فاذا بها تشير الى التاسعة من الصباح .
فوثبت من السرير على عجل تجمع ثيابها وحليها ونقودها وتلقي بها كلها في حقيبتها ، ثم ترتدي ثيابها ، وتحمل الحقيبة ، وتهم بالخروج من الغرفة ..
وحانت منها التفاتة الى صورة والديها الجاثية على المنضدة قرب السرير ، فأدمعت عيناها .
هي ستبتعد عنهما .
ومن يدري قد لا تشاهدهما بعد اليوم ..
وعادت الى الصورة ترفعها ، وتلثم زجاجها .
وجلست الى المنضدة لتخط لهما رسالة مقتضبة فكتبت : «والداي الحبيبان! يعز علي ان اهرب من داركما ، كما يهرب اللصوص ، الا ان الاقدار فرضت علي

قرارها .
وليس لنا ان نبدي قرارا حيال قرار الاقدار .
ابنتكما عاشقة، أجل يا والداي فانا أحب نزيه الكيال.
ومن اجله ، من اجل هذا الحب ، ابتعد عنكما .
عندما تطلعان على هذه الرسالة ، اكون قد اصبحت مع نزيه بعيدة عن لبنان .
ساكتب اليكما من حيث اكون .
ارجو ان تغفرا لي هفوتي ، وان تباركاني ، وان تثقا انني سأظل ابنتكما المحبة المطيعة .
قبلاتي الحارة .
واسلما لابنتكما المحبة ــ شارلوت » .
وطوت الرسالة ، وتركتها على المنضدة .
وحملت الحقيبة ، وتسللت من الدار دون ان تقع عليها عين .
كان والدها قد ذهب الى عمله ، وكانت والدتها لا تزال في غرفتها .
اما الخادمة فكانت منصرفة الى عملها في المطبخ ..
والقت نظرة على تلك الدار، قبل ان تستقل سيارتها، وتطلق لها العنان في طريق الارز...
ووصلت الى القرية الخضراء .

فترجلت من السيارة .

وسارت في الطريق الصاعد الضيق الى المغارة .

ودخلت على فرحة يوشحها الاضطراب ..

لماذا كانت تضطرب شارلوت ؟

ليست تدري ..

واستقبلها نزيه بالقبلات .

فارتمت بين ذراعيه هامسة :

انا خائفة يا نزيه .

ـ خائفة ؟ أتخافين وانت مع نزيه يا شارلوت ؟

وأمسك بيدها يشدها هامسا :

هكذا سنظل معا ابد الدهر يا حبيبتي .

فهمست ويدها تشد يده :

الى الابد .. الى الابد يا نزيه .

وسارا ...

قالت : لقد هيأت كل شيء . ما لنا الا ان نخرج من هذه المغارة ، ونطير الى بيروت ، ونستقل الباخرة لننجو من كل خطر .

وقبل ان يصلا الى الخارج بخطوات قليلة ، سمعا جلبة ، وضجة ، وضوضاء .

فوجما ...

وأرهفا آذانهما ، فاذا بوقع خطوات يتكسر في

الآذان ..

ووقفا على رعشة واضطراب .

وتحول اضطرابهما الى ذعر ، وهما يشاهدان رجال الامن يشهرون مسدساتهم ويدخلون عليهما ، ووراءهم ثلة من الجند .

وارتد نزيه الكيال على غضب عاصف شديد .

وجالت في رأسه فكرة أخافته ، اكثر مما أخافه اولئك الجنود ؟

كيف توصل رجال الامن الى معرفة مدخل المغارة ؟

او بالاحرى كيف استطاعوا ان يقفوا على مقره .

والتفت الى شارلوت الواقفة قربه على خوف وذعر ليقول :

ـ شارلوت ! هل وشيت بنزيه الكيال ؟

أيهون لديك نزيه يا شارلوت ؟

ـ نزيه ! ماذا تقول ؟ هل جننت ؟ انا أشي بك يا حبيبي !

قال : ليس ثمة من يعرف مدخل هذه المغارة يا شارلوت ، فكيف وصل هؤلاء الجنود الينا ؟

فتمتمت ، وهي تطوقه بذراعيها : لست ادري !...

لست ادري يا نزيه !..

وتعالى صوت قائد الحملة ، وهو يشهر مسدسه :

ارفع يديك يا نزيه الكيال .

وصرخت شارلوت : نزيه ! اهرب .. اهرب يـا نزيه .. انا سأحميك بصدري ... سأتقدمك .. تعال.. اهرب .. اهرب ..

الا ان نزيها لم يهرب ، بل هو اندفع الى الجنـود شاهرا مسدسه .

فهدده قائدهم :

اذا تقدمت خطوة واحدة صرعك رصاصنا .

ولكن نزيها لم يأبه لتهديدهم .

وحاول اطلاق الرصاص .

فما كان من الجنود الا انهم صوبوا بنادقهم الـى صدره محاولين اطلاق الرصاص عليه .

واشتد الذعر بشارلوت ، وهي تشاهد حبيبها مهددا بالرصاص ، فوثبت اليه ، لتضمه الى صدرها وتقف بينه وبين رصاص البنادق .

وحاول نزيه ابعادها عنه .

الا انها طوقت عنقه بذراعيها وهمست :

سيخترق الرصاص صدري ، قبل ان يصل اليك يـا حبيبي .

واذا بالبنادق تلفظ النار ، فتقع شارلوت مضرجـة بدمها الطاهر البريء بين يدي نزيه الكيال .



وحمل نزيه الكيال شارلوت على ساعديه ، وحاول العودة بها الى المغارة ، الا ان رجال الأمن لحقوا بهما .

وهمست شارلوت بوكار ، وهي بين يدي نزيه والدماء تنزف غزيرة من صدرها :

نزيه ! لقد احببتك حبا هائلا رهيبا يا حبيبي .. وسأحبك ..

سأحبك الى الأبد يا نزيه .

سأحبك حتى بعد الموت ..

نزيه ! قل لي ، هل ستذكرني ؟

اتذكر ايامنا ولياليها الحلوة الهائئة يا نزيه ؟

انا سأظل معك .. سأطل عليك عند كل غروب ، ومع مطلع كل فجر ، من وراء الأفق البعيد ..

سأحبك .. سأحبك حتى بعد الموت يا حبيبي .

ووصل الجند اليهما .

وحاول قائدهم انتزاع الفتاة الجريح من بين يدي نزيه الكيال .

الا ان نزيها ابى ان يتخلى عن حبيبته شارلوت ..

وأبت شارلوت ان تبتعد عنه فهمست :

اتركوني .. اريد ان اموت بين ذراعي حبيبي ..

حتى بعد ان اموت اريد ان اظل قربه . هنا ، في هذه الجبال الباسمة البيضاء ستدفن جثتي .

ورمقت نزيها بنظرة حالمة ولهى ، فيها كل معاني الحب والتضحية والوفاء .

وهمست شفتاها المرتجفتان ..

نزيه ! اذكرني . اذكر شارلوت . سأنتظرك هناك .. هناك .. هناك.. في السماء .. يا حياة شارلوت! نزيه..

ووقفت الكلمات منها على الشفتين .

وألوت عنقها الى صدر حبيبها .

وظلت عيناها الجامدتان ، الباردتان ، غارزتين في عينيه ..

لقد ماتت شارلوت ...

واطلق نزيه الكيال صرخة ، رددت صداها انحاء تلك المغارة : شارلوت !...

ولم تجب شارلوت ...

هذه هي المرة الاولى التي لا ترد فيها على نزيه .

الفصل الثالث عشر

وصل النبأ الرهيب الى الكولونيل بوكار ، والى زوجته كلوديت ، فذعرا •••

وأسرعت كلوديت بوكار مع زوجها الى المستشفى في طرابلس ، حيث كانت جثة ابنتهما شارلوت ممددة على السرير الناصع البياض •

وبكى الكولونيل بوكار •••

بكى ابنته الحبيبة شارلوت بدموع قانية الاحمرار •

اما كلوديت فلم تبك •

لم تذرف دمعة واحدة على ابنتها •

لقد تحجرت الدموع في عينيها •

كانت كلوديت تود ان تبكي •

تريد ان تذرف الدموع •

الا ان الدموع خانتها •

وثار الحزن العميق ، الهائل ، الرهيب ، جففت

دموعها ، وأحرقت قلبها ، فهمست :

شارلوت : يا حبيبتي يا ابنتي !•• ليتني مت قبل ان أراك كما أراك •

واذا بالذكريات تطل على كلوديت بوكار ، وهي تقف امام جثة ابنتها الحبيبة •

لقد اطلت عليها الذكريات لتلسع فؤادها بالسياط ••

ذكرى زوجها الاول المستشار روودان الذي صرعته •

ذكرى خياناتها ••

ذكرى جرائمها ••

ذكريات •• ذكريات هائلة ، رهيبة ، كانت تطل على كلوديت بوكار صارخة بها :

ان الله يمهل ، ولا يهمل •• الآباء يأكلون الحصرم ، والابناء يضرسون•••

وارتمت كلوديت بوكار على جثة ابنتها ، تضمها الى صدرها وتولول :

شارلوت ! شارلوت ! شارلوت !••

وحقق الكولونيل بوكار أمل ابنته الاخير ، فشيد لها قبرا تحت ظلال الارز •

شارلوت ستظل قرب نزيه •

واعتقل نزيه الكيال •

لقد اشفى الليوتنان فوايو غليل انتقامه ••

ومثل نزيه أمام القضاء.

فلم ير القضاء العادل اي جرم بحقه ، لاسيما والكولونيل بوكار كان قد اسقط حقه الشخصي ، اكراما لعيني شارلوت ، وهي تحت التراب ..

كانت شارلوت تحب نزيها ، وهي قد فدته بروحها. فهل يستطيع الكولونيل بوكار ان يزج بحبيب شارلوت في السجن ؟

وعاد نزيه الكيال الى جبال الارز .

عاد ليقيم في تلك الغارة ، التي حنت عليه وعلى شارلوت .

وكان نزيه يطوف جبال الارز باحثا عن ذكرياته المؤلمة الرهيبة ..

باحثا عن شارلوت ...

ومع مطلع كل فجر، ينطلق نزيه الكيال الى الاحراج، ليجمع الازهار ، ويحملها الى قبر شارلوت .

ولزم نزيه الصمت ..

لم يكن لينطق بحرف ..

فهو صامت ، ساهم ، دامع العين ..

فأطلق عليه ابناء الارز لقب «المجنون» !

وكان «المجنون» نزيه الكيال كثيرا ما يشاهد المتزلجين يقتربون منه ، وهو جالس عند قبر شارلوت ، تحت ظلال

الارز ، فيدعوهم اليه بهمسات قليلة :

تعالوا .. تعالوا .. شاهدوا معي دموع الارز !

ويدلهم على دموع الارز ، على الثلوج التي تثقل اغصان الارز ، وتذوب تحت اشعة الشمس ، وتساقط حباتها فوق قبر شارلوت .

وهمس نزيه :

هذه دموع الارز تبكي معي شارلوت .

الا تبكون انتم معي ، ومع الارز ؟ هل هناك من يستطيع ان لا يبكي الشباب العاطر الندي ؟

وينظر نزيه الكيال من خلال دموعه الى الأفق البعيد وهمس :

شارلوت .. يا حبيبتي !..

سنة واحدة عاشها نزيه الكيال ، بعد مصرع حبيبته شارلوت .

وفي صباح يوم بارد ، مثلج ، عاصف ، حزين ، وجد ابناء الارز جثة نزيه الكيال ملقاة عند قبر شارلوت بوكار..

فدفنوه قربها .

وعادت اغصان الارز الى سكب الدموع .

انها لتبكي نزيهاً وشارلوت ، وتحنو على ضريحهما المغمور بالثلوج ، والورود ، والرياحين .

ـ تمت ـ